الفصل الثالث

جهوده في دراسة اللهجات العربية

الفصل الثالث

جهوده في دراسة اللهجات العربية

أولاً: نظرة تأريخيّة في دراسة اللهجات:

وجدت دراسة اللهجات العربية القديمة والمعاصرة عنايةً فائقةً عند المتخصصين، متوخّين بذلك الكشف عن حقيقة مهمّة من تأريخ اللغة العربية وتطوّرها. ومن أولئك الذين عنوا بذلك الدكتور (رمضان عبد التواب)، وسأعرض في هذا الفصل جانبًا من دراسة اللهجات العربية، ومن ثم أبين جهود عبد التواب في هذا المضمار.

اللهجة لغةً واصطلاحًا:

اللهجةُ لغةً: جاء في العين: ((اللهجة: طرف اللسان، أو جرس الكلام ويقال: فصيح اللَّهْجَة واللَّهَجَة وهي لغته التي جُبِلَ عليها فاعتادها ونشأ عليها))[1].

واللهجة اصطلاحًا: ((مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئةٍ خاصَّةٍ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة))[2].

وعلى هذا الأساس أرجأ الدكتور رمضان عبد التواب التقسيم اللهجي إلى إحساس حقيقي، لدى سكان الإقليم الواحد، بأنهم يتكلمون بصورةٍ ما، تختلف عن الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم المجاور[3].

---

(١) العين: (لهج) ٣٩١/٣، وينظر التهذيب: (لهج) ٥٥/٦، والمخصص: ١/ ١٥٥، والمحكم: ٤/ ١٢٠، ولسان العرب: (لهج) ٢٥٩/٢، ولهجة قبيلة أسد: ٣١.

(٢) في اللهجات العربية: ١٦، وينظر: لهجة قبيلة أسد ٣١.

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٢.

ولابدّ من الإشارة ها هنا إلى أنّ مفهوم اللهجة عند اللغويين القدامى، يختلف عمّا تعارف عليه المحدثون، فقد استعملوا كلمة (لغة) أو (لحن) للدلالة على اللهجة بمفهومها الحديث[1].

نشأة اللّهجات:

من الصعب تحديد الحقبة التي يتم خلالها تكوّن اللهجة تأريخيًّا؛ إذ إنّ اللهجة قبل أن تنماز من اللغة الأم ومن غيرها من اللهجات بسمات معيّنة تمرّ بمرحلة من التطوّر، يصعب تحديد تأريخها؛ إذا لم نقف على تأريخ اللغة العربية ولم نعرف شيئًا عن طفولتها في تلك الحقبة السحيقة من الزمن[2]؛ إذ لم تصل إلينا نصوص مكتوبة تبين أحوال هذه اللغة، بل ما وصل إلينا يمثل مرحلة متطوّرة للعربية الموحّدة شملت أدب ما قبل الإسلام[3]، و لا يرقى أقدم أثر عنه إلى قرنٍ ونصف قرنٍ أو قرنين من الزمن قبل الإسلام[4].

ومن العسير علينا أيضًا ((أن نحدّد المساحة التي تشغلها كلّ لهجة غير أننا نستطيع أن نحدّد بوجه عام الظواهر اللهجية التي تختص بها هذه اللهجة أو تلك؛ فقد تشترك أكثر من لهجة في ظاهرة أو أكثر من تلك الخصائص اللهجية، وهذا ما يمكن أن نلمسه من خلال دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة والخصائص التي اشتركت أو تفرّدت بها ومدى التأثر الذي أصابها جراء احتكاكها ببعضها))[5].

(١) ينظر: في اللهجات العربية: ١٦، ولهجة قبيلة أسد: ٣١.
(٢) ينظر: في اللهجات العربية: ٣٤.
(٣) ينظر: تأريخ اللغات السامية: ١٧٠.
(٤) ينظر: الحيوان: ١/ ٧٤.
(٥) لهجة قبيلة أسد: ٣٢- ٣٣.

أسباب نشأة اللهجات:

تتفاوت اللهجات فيما بينها في أثر هذا السبب أو ذاك في تكوّنها، وهذه الأسباب قرّرها علماء اللغة المحدثون وفصّلوا القول فيها[1]، ومن المفيد أن نذكر أهم هذه الأسباب على النحو الآتي:-

١. العزلـــة:-

العوارض الطبيعية لها أثر كبير في فرض العزلة، ولاسيما في البيئات البدائية؛ إذ إنَّها تقلّل من فرص اتصال المجموعات البشرية، فتنشأ من استمرار هذه الحال طويلاً خصائص لهجية تنمو وتترعرع بمعزل عن ظواهر أخرى تنشأ في بيئة ثانية[2].

وتتميّز كلّ منطقة بلهجة لها خصائصها، بحيث يمكن معرفة الفرد من خلال لهجته، يقول فندريس: ((هناك لهجة محدّدة في كلّ منطقة، يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة، وحتى عندما لايمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين، فإنّه يبقى أنّ كلاً منهما تتميّز في مجموعها ببعض السمات التي لا توجد في الأخرى))[3].

وإنَّ الانعزال النسبي بين القبائل العربية مكّنَ من نشأة اختلافات معيّنة بين لهجة وأخرى، ويزيد البعد بين اللهجات بمقدار ما كان الانعزال قاطعًا وصارمًا[4].

---

(١) ينظر: في اللهجات العربية: ٢١، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: ٣٧، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٧٨.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية: ٢١، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: ٣٧، وعلم اللغة: ١٧٥، واللغة والمجتمع: ١٣٢، ودراسة اللهجات العربية القديمة:٦، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٨٠، وتأريخ اللغات السامية: ١٦٢.

(٣) اللغة لفند ريس: ٣١٢.

(٤) ينظر: العربية ولهجاتها: ٣٦.

٢. أسباب اجتماعيـة:-

إنَّ انقسام المجتمع على طبقات اجتماعية مختلفة الظروف، يؤدي إلى تكوين لهجة خاصة لكلّ طبقة، ((فالطبقة الارستقراطية مثلاً تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع))[١].

ويمكن أن تكون لكلّ مهنة لهجة خاصّة، فللتجارة لهجتها، وللزراعة لهجة أخرى وهكذا. ووجد فندريس أنّ اللهجة الواحدة قد تتكون خلالها لهجات خاصّة، سماها (اللغات العاميّة الخاصّة)، وهذه اللهجات يتحدّد وجودها بوجود جماعات متخصّصة كالصنّاع والأشقياء الذين يستعملون فيما بينهم لغة متّفقًا عليها[٢].

٣. الاحتكاك اللّغويّ:-

يُعدُّ هذا العامل من العوامل الرئيسة التي تسهم في تكوّن اللّهجات، ويحدث نتيجة التجاور مع اللّغات الأخرى، أو نتيجة الغزو والهجرات[٣].

ويبدو أثر هذا العامل واضحًا في اللّهجات المعاصرة؛ إذ إنّ الاستعمار ساعد على تعميق الاختلافات بين اللّهجات العربية المعاصرة في تلك البيئات التي استحوذ عليها، أمّا اختلاط طائفة من القبائل العربية القديمة بالأعاجم في أطراف الجزيرة، بشكل أو بآخر؛ فكان سببًا في ترك اللغويين الأخذ عنهم، وهو ما قرّره أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) بقوله: ((... فلم يؤخذ عنهم شيء لأنّهم كانوا في أطراف بلاد هم مخالطين لغيرهم من الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر))[٤].

وعلى أيّة حال فمن الممكن أن تسهم هذه العوامل مجتمعة في تكوين اللهجات، وأن يكون لأحدها أثر متميّز في نشأتها.

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ٣٨.
(٢) ينظر: اللغة لفندريس: ٣١٤.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٨، وفي اللهجات العربية: ٢٣.
(٤) الحروف: ١٤٧.

يقول الدكتور (رمضان عبد التواب): ((إنّ السبب الرئيسي(٨) لنشأة اللهجات المحلية، يرجع إلى اختلاف الأقاليم، وما يحيط بكلّ إقليم من ظروف، وخصائص تأريخية وجغرافية وسياسية، على حين أنّ السبب الأساسي لنشأة اللهجات الاجتماعية، يرجع إلى اختلاف الناس في الإقليم الواحد وما يكتنف كلّ طبقة من شؤون، في شتى مظاهر الحياة))(١).

العلاقة بين اللّهجة واللغة:

إنّ اللغة الواحدة تشتمل على لهجات عدّة، تحتفظ كلّ منها بخصائصها التي تميّزها من غيرها إلاّ أنّها ترتبط ببعضها في صفات لغوية تمثل اللغة الموحّدة التي تضم تلك اللهجات(٢)؛ ولذا فإنّ العلاقة بين اللهجة واللغة، ((هي علاقة الخاص بالعام))(٣). ومع ذلك يصعب في غالب الأحيان تتبع الخط الفاصل ورسمه بين اللغة واللهجة(٤)؛ إذ ((لم تكن العلاقة بين اللغة واللهجة واضحة، في أذهان اللغويين العرب؛ ولذلك نجد بعضهم يخلط بينهما خلطًا فاحشًا، ويعدّ اللهجات العربية لغات مختلفة، وكلّها حجّة(٥) ومع ذلك فإنهم لم يرووا لنا من هذه اللّهجات إلاّ مقتطفات مبتورة))(٦).

وما من شكٍّ في أنّ كلّ لغةٍ كانت في يوم من الأيام لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، ثم حدثت عوامل كثيرة، أدّت إلى موت اللغة الأم أو اندثارها، وانتشار كلّ بنت من بناتها في بقعة من الأرض، مكوّنة لغة لها خصائصها ومزاياها، التي تنفرد بها عن أخواتها فاللغات الجزرية (السامية) المختلفة كانت في الأصل

---

(٨) الصواب: الرئيس؛ لأنه صفه فلا ينسب إليه. لذلك لا تقول في الشريف: الشريفي، ولا العظيم: العظيمي.

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٦٩.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية: ١٦.

(٣) فصول في فقه العربية: ٧٢.

(٤) ينظر: أسس علم اللغة: ٢١١.

(٥) عدّ ابن جني كلّ لهجات العرب حجّة، فهو يقول: ((فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ))، الخصائص: ٢/ ١٠.

(٦) فصول في فقه العربية: ٧٣.

لهجات لُغة الجزرية الأمّ، واللغة اللاتينية بعد اندثارها تُعَدُّ أمًّا للّهجات الرومانية المختلفة، التي أصبحت لغات لها كيانها وخصائصها، و هي: الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وكلّ واحدة من هذه اللغات، انقسمت إلى لهجات(١).

مصادر دراسة اللّهجات :

إنّ مصادر اللّهجات العربية القديمة متنوّعة بحيث لا يتّسع المجال لذكرها مفصّلة ها هنا (٢)؛ لأنّها تطيل الرسالة وتُخرجها عن طورها المرسوم لها، إلاّ أنّ أهم تلك المصادر:

١. كتب القراءات القرآنية.
٢. كتب تفسير القرآن الكريم.
٣. كتب معاني القرآن الكريم وإعرابه.
٤. المعاجم اللغوية القديمة.
٥. كتب النحو والصرف.
٦. كتب النوادر والإبدال والأضداد.
٧. كتب الأدب بما في ذلك شروح الدواوين.
٨. دواوين شعراء القبائل.

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٣.
(٢) تناول ذلك بالتفصيل الدكتور (أحمد علم الدين الجندي) في: اللهجات العربية في التراث: ١٠٣/١ وما بعدها، والدكتور (إبراهيم السامرائي) في: تأريخ العربية: ٤٠.

صور رواية اللهجات:

١. نسبتها إلى البيئات الجغرافية:-

عزا اللغويون والنحويون طائفة من الظواهر اللهجية إلى بيئات خاصّة، مثل: بيئة الحجاز ونجد وغيرها من البيئات الجغرافية التي عرفتها الجزيرة العربية، إلا أنّ تلك البيئات كانت مواطن لعدّة قبائل، ومن ذلك: قال سيبويه: ((وقد بلغنا أنّ قومًا من أهل الحجاز من أهل التحقيق، يحقّقون نبئ وبريئة وذلك قليل رديء))[١].

و في الصحاح: ((الجَدال: البلح إذا اخضرَّ واستدار قبل أن يشتدّ، بلغة أهل نجد، الواحدة جَدالة))[٢]. وفي اللسان عن ابن الأثير أنّ ((مضارع الفعل (لَبَّ) يَلَبُّ بلهجة أهل الحجاز ويلِبُّ بلهجة أهل نجد))[٣].

٢. نسبتها إلى قبائل محدَّدة:-

من ذلك ما جاء في العين: ((... ولغة تميم: شِهيد بكسر الشين، يكسرون فعيلاً في كلّ شيءٍ كان ثانيه أحد حروف الحلق))[٤]. و جاء فيه: ((والقطعة في طيئ، كالعنعنة في تميم و هي أن يقول: يا أبا الحَكَا و هو يريد: يا أبا الحَكَم، فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة))[٥].

وقال الفرّاء: ((واحدة العضين عضة رفعها: عضون، ونصبها وخفضها: عِضين. ومن العرب من يجعلها بالياء على كلّ حال ويعرب نونها فيقول: عضينُك ومررت بعضينِك وسنينِك، وهي كثيرة في أسد وعامر))[٦].

٣. نسبتها إلى طائفة من البطون والأحياء:-

---

(١) الكتاب (هارون): ٥٥٥/٣.
(٢) (جدل) ١٦٥٣/٤.
(٣) (لبب) ١/ ٧٣٠.
(٤) (شهد) ٣/ ٣٩٨.
(٥) (قطع) ١٣٧/١.
(٦) معاني القرآن: ٩٢/٢.

ورد عن الكسائي أنّه سمع في (حيث) عدّة لهجات فهي عند (بني يربوع وطهية) من تميم بفتح الثاء على كلّ حال في الرفع والنصب والجر، فيقول: حيثَ التقيا، ومن حيثَ لايعلمون، وزاد الكسائي: ((وسمعت في بني أسد بن الحارث ابن ثعلبة، وفي بني فقعس كلّها يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب، فيقول: من حيثِ لا يعلمون، وكان ذلك حيثَ التقيا))[1].

٤. نسبتها إلى الأفراد:-

عزا اللغويون القدامى لهجات خاصّة إلى بعض الأفراد كالعجّاج ويزيد بن مزيد الشيباني وغيرهما[2].

٥. لم تنسب إلى أحد:-

ذُكِرَت بعض الظواهر اللهجية بَيْدَ أنّها لم تُعْزَ إلى أصحابها أو بيئاتها، فجاء في العين:((القِثّاء والقُثّاء لغتان بالكسر والضم))[3]، وفي موضع آخر من العين يقول:((رجل عطشان وامرأة عطشى وفي لغة عطشانة))[4]. وورد عن أبي الحسن الأخفش مثل ذلك عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ [5] أنّه قال: ((وقال بعضهم: مُرْية، تكسر وتضم وهما لغتان))[6]. ومثل تلك الظواهر كثير في المصادر المختلفة ولو عُزِيَت إلى قبائلها لخلّفَت لنا تراثًا يمكن أن يعطي صورة أوضح من شأنها أن تكشف خصائص تلك اللهجات وطبيعتها.

(١) لسان العرب: (حيث) ٢/١٤٠.
(٢) ينظر: اللهجات العربية في التراث: ١/٨٥ ـ ٨٦.
(٣) (قثأ) ٥ / ٢٠٣.
(٤) (عطش) ١ / ٢٤٣.
(٥) هود / ١٠٩.
(٦) معاني القرآن: ٢ / ٣٥١.

أهمية دراسة اللهجات وصعوباتها :

قد تنبّه المعاصرون من اللغويين، على أهمية دراسة اللّهجات العربية القديمة، وأدحوا باللائمة على اللغويين الأوائل لكونهم لم يُعْنَوْا باللهجات، قال جيم رابين: ((إنّ تدوين المادّة الخاصّة باللهجات، كان بالنسبة إلى اللغوي العربي عملاً ثانويًا لم يدخل في نطاق هدفه الحقيقي الذي كان جمع قواعد اللغة الجاهلية وتنظيمها))[1].

وألقى مصطفى صادق الرافعي اللّومَ على الأوائل لكونهم لم يُعْنَوْا باللّهجات وأوجُه اختلافها ((إلا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عرض كلامهم؛ لأنّهم لم يعتبروها تأريخيًّا فقد عاصروا أهلها واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تأريخها من بعدهم))[2].

ويسوّغ إبراهيم أنيس قلّة اهتمام اللغويين باللهجات بعد اتساع الدولة العربية برغبتهم في التقليل من التعصّب القبلي؛ ولذلك أُهمِل أمر اللهجات ((ولم يرد إلاّ القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتأريخ بل إنّ ما روي عنها جاء مبتورًا ناقصًا في معظم الأحيان))[3].

أمّا الدكتور عبدة الراجحي فيرى أنّ العرب لم يتوافروا على دراسة اللهجات كما يتوافر على درسها المحدثون؛ لأنّ عملهم كان مرتبطًا بفهم النصّ القرآني وما يتّصل به من نصوص دينية ((أي أنّه كان مرتبطًا باللغة الموحّدة التي نزل بها القرآن الكريم، ومن ثم كان من العبث أن يوجّهوا جهودهم إلى دراسة اللهجات))[4].

ويرى الدكتور محمود فهمي حجازي ((أنّ اللغويين الذين جمعوا المادّة اللهجية في القرنين الأول والثاني حاولوا أن ينظروا بمعيار الخطأ والصواب إلى كلّ

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة: ٢٩.
(٢) تأريخ آداب العرب: ١ / ١٣٧.
(٣) في اللهجات العربية: ٤٧.
(٤) فقه اللغة في الكتب العربية: ١١٠.

الظواهر اللغوية التي عرفها عصرهم بل حدود القبائل التي رووا عنها، و هم في عملهم ذلك لم يهدفوا إلى جمع الظواهر اللهجية ودراستها ونسبتها إلى القبائل، بل قصروا هممهم على تسجيل بعض الظواهر التي جلبت اهتمامهم))[1].

أمّا الدكتور عبد الصبور شاهين فيرى ((أنّ اللهجات العربية لم تدوّن ولم يُعْنَ بتفصيلاتها و كان الاهتمام باللغة المشتركة وتسجيل أشعار العرب سببًا في إهمال اللهجات والتّرفع عن الاهتمام بأمرها على أهميته. وما روي منها لا يمكن أن يصنع تأريخًا للغة أو يصوغ فكرة متكاملة))[2].

ووجد كلّ من الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور عبد الرحمن أيّوب أنّ علماء اللغة والنحو المتقدّمين نظروا إلى اللّهجات كما لو كانت أمرًا مستقبحًا ينبغي تجنّبه، بل كان همّهم أن يؤكّدوا أنّها ليست من العربية الفصحى[3].

ولو تأمّلنا آراء المعاصرين المذكورة آنفًا لوجدناها: إمّا تتعلّق بجهود اللغويين القدامى وأثرهم في رواية اللهجات ثم دراستها، وإمّا بنظرتهم إلى اللّهجات.

أمّا ما يخصّ جهود اللغويين، فقد ذكرت كتب التراجم طائفة من الكتب كتبها القدامى تحمل عنوان (كتاب اللغات) أو عنوانًا قريبًا منه[4]، وأغلب هذه الكتب مفقود، ولو وصل إلينا ما ضاع منها، لأمكن أن يعطينا صورة أوضح بحيث تمثل لهجات القبائل وأوجه الاختلاف بينها.

وأمّا نظرة اللغويين والنحويين إلى اللّهجات، فلم يستقبحوا كلّ اللهجات، وإنّما وردت منهم أحكام متباينة[5]، فمرةً يذكر اللغوي أو النحوي اللهجتين من دون أن يفضّل إحداهما على الأخرى[6]، ومرّة يذكر اللهجتين ثم يفاضل بينهما[7]، وآخرون

(١) علم اللغة العربية: ٢٢٤ ـ ٢٢٥.
(٢) في علم اللغة العام: ٢٢٧.
(٣) ينظر: تأريخ العربية: ٢٥، والتطوّر اللغوي التأريخي: ٣٤، والعربية ولهجاتها: ٣٤٤.
(٤) ذكر الدكتور (هاشم الطعان) قائمة بهذه الكتب، في كتابه: الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحّدة: ١٤٦ ـ ١٤٨، وينظر أيضًا: اللهجات العربية الغربية القديمة، لرابين: ٣٠.
(٥) ينظر: اللهجات العربية في التراث: ١ / ١٩٦ ـ ١٩٩.
(٦) ينظر: العين: (وجع) ! / ١٨٦، وثلاثة كتب في الأضداد: ٥٢.
(٧) ينظر: العين: (لصق) ٥/ ٦٤، و الكتاب: ٤/ ٤٧٣، والمذكر والمؤنث ـ لابن الأنباري: ٢٠٣.

يصفون عدّة ظواهر لهجية بأنّها رديئة أو قبيحة أو مسترذلة أو قليلة أو نادرة وغير ذلك من الأوصاف التي حفلت بها كتب اللغة[1].

أمّا المتخصّصون من المعاصرين، فلم تخفَ عليهم أهمية دراسة اللّهجات العربية القديمة، فوجّهوا عنايتهم الفائقة صوبها، وعزا الدكتور (رمضان عبد التوّاب) أهمية هذه الدراسات لأمور ثلاثة[2]:-

١. تبين دراسة اللهجات العربية الحديثة أنها ترجع في كثير من الحالات، إلى اللّهجات القديمة، أكثر من رجوعها إلى الفصحى.
٢. دراسة اللهجات القديمة من الممكن أن توضّح هل العربية الفصحى ولغة الشعر، حصيلة عدّة لهجات، أو أنّها لهجة قبيلة معيّنة، سادت واتّخذها الشعراء قالبًا، ينظمون فيه أشعارهم؟
٣. تفيد دراسة اللهجات، في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة، التي رويت لنا من غير عزوٍ إلى لهجة معيّنة.

وهناك أيضًا صعوبات كثيرة، تقف أمام دارس اللّهجات العربية القديمة أجملها الدكتور رمضان عبد التواب بما يلي[3]:-

١. غالبًا ما نعثر على ملاحظات مهمّة عن اللهجات العربية، في غير كتب اللغويين من الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة والأطباء والرياضيين بمناسبة وغير مناسبة؛ لذا تتطلّب هذه الدراسة تصفُّح جميع المؤلفات العربية.
٢. إغفال اللغويين ذكر القبائل التي تنتمي إليها اللهجات، واكتفاؤهم بعبارة (و هي لغة) مثلاً. و كذلك الحال في اختلافهم، في تعيين القبيلة صاحبة اللّهجة المذكورة.

---

(١) ينظر: العين: ٤ / ١٠٨، ودرة الغواص في أوهام الخواص: ٤٠.
(٢) ينظر : فصول في فقه العربية: ٧٣ ـ ٧٤.
(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٤ ـ٧٥.

٣. اصطلاحات اللّغويين العرب، غير واضحة تمامًا؛ فإنّ كلمة (لغة) تعبر في بعض الأحيان عندهم عن لهجة قبيلة من القبائل، كما تعبر في أحيان أخرى عن عيوب النطق (اللّثغة).

٤. التصحيف والتحريف اللّذان ابتليت بهما الكتابة العربية، طَمَسا كثيرًا من المعالم الصحيحة، لبعض اللّهجات العربية.

اللّهجات في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام:

وقف الباحثون مواقف مختلفة إزاء وجود خصائص لهجية تمثل لهجات القبائل العربية القديمة في شعر ما قبل الإسلام وصدر الإسلام. فقد رأت طائفة منهم صعوبة تلمس آثار لهجية في الشعر تمثل هذه اللهجة أو تلك، فذهب الدكتور(طه حسين) إلى ((إنّ اختلاف اللهجات العربية لم يؤثر في شعر الشعراء تأثيرًا ما، فجاء شعرهم على اختلاف قبائلهم متماثلاً))[١].

ويرى الدكتور شوقي ضيف أنّ أقدم نصوص ذلك الشعر كانت موافقة للهجة قريش التي فرضت سيادتها على اللهجات الأخرى[٢].

واستنتج الدكتور غالب المطّلبي بأنّه لايمكن الركون إلى الشعر لتلمّس الظواهر اللّهجية فيه؛ لأنه نظم باللغة الفصحى التي دخلت إلى حدٍّ بعيد من تلك الظواهر[٣].

وحينما تطرّق الدكتور (رمضان عبد التواب) إلى هذه المسألة تصوّر أنّ للعرب لونين من الأدب، أحدهما: هذا الأدب الذي وصل إلينا، والآخر هو أدب القبيلة (بصورة شعبية)، فاللّون الأوّل يمثل - إلى حدّ كبير - لغة موحّدة منسجمة، لا تكاد تتضمن شيئًا من تلك الظواهر اللهجية. أمّا اللون الثاني، فلم تصل إلينا منه أعمال

(١) في الأدب الجاهلي: ٩٤.
(٢) ينظر: العصر الجاهلي: ١٣١.
(٣) ينظر: لهجة تميم: ٧٦، ٢٨٩.

متكاملة متمثلة بالشواهد الشاذة التي حفلت بها كتب اللغة والنحو والأدب، ويتضمّن ذلك الشعر ظواهر لهجية [1].

وخرج فريق من الباحثين بنتيجة مفادها أنّ آثار اللهجات كانت واضحة في أدب ما قبل الإسلام، وإنّ ما اختفى من هذه اللهجات كان بفعل الرواة أو بمحاولة الأديب نفسه أن يأتي أدبه بلغة قريبة من اللغة الموحّدة[2]، وذهب المستشرقون إلى أنّ اللغة التي نظم بها شعر ما قبل الإسلام لا تعود إلى قبيلة معيّنة، بل هي مزيج من لهجات عربية مختلفة[3].

* * *

ثانيًا: موقفه من الفصحى ولهجاتها القديمة:

لقد اشتهر بين الناس أنّ اللغة الفصحى هي لغة قريش، وأنّ أهلها وحدهم من هيّأ للعرب لغةً موحّدةً نَزلَ بها القرآن الكريم.

ومن النصوص اللغوية القديمة التي تؤيد ذلك، قول أبي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ): ((وكانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللّسان عند النطق وأحسنها مسموعًا وأبْيَنَها إبانة عمّا في النفس))[4]، وقول ابن فارس (ت٣٩٥ هـ): ((إنّ قريشًا أوضح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أنّ الله - جلّ ثناؤه - اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيّ الرحمة مُحَمَّدًا ﷺ... ، فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم... وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم.

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٧.
(٢) ينظر: الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحّدة: ٢٤٧.
(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٧٦.
(٤) الاقتراح: ٤٤.

فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طُبِعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب))[1].

ذهب محمد عيد إلى ((أنّ السبب في رواج فكرة فصاحة قريش واعتبار* لغتها سيّدة اللغات يعود إلى الرغبة في إعلاء شأن قريش، لدافع ديني لا لواقع لغوي، فما دام رسول الله - ﷺ - منهم وهو سيّد العرب والعجم وما دام القرآن قد نزل عليه فيهم، وهو سيّد كلام العرب، فإنّه ينبغي للغتهم أيضًا أن تكون سيّدة اللغات، وربّما توحّدت لهجاتهم))[2].

أمّا وجهة النظر الحديثة في هذا الموضوع فمن الممكن أن نجعلها في اتجاهات ثلاثة:-

الأول: ذهب أصحابه إلى أنّ لغة قريش هي الأفصح بين اللهجات العربية ومن ثم أُنْزِلَ القرآن بعد ذلك بلغتهم[3].

الثاني: ذهب أصحابه إلى أنّ لغة قريش هي الأفصح بين اللهجات العربية؛ لذا كانت من أقواها أثرًا في تكوين اللغة العربية الفصحى المشتركة، من ثم أُنْزِلَ القرآن بعد ذلك بهذه اللغة المشتركة.

الثالث: أنكر أصحاب هذا الاتّجاه أنّ لغة قريش هي الأفصح بين اللغات، وذهبوا إلى أنّ الفصحى تكوّنت بقدرٍ مشترك اتّفق فيه عامّة العرب الذي خَلَصَت إليه لغة التنزيل العزيز[4].

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة...: ٥٢.

(*) الصواب: وعَدّ

(٢) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات: ٥٥.

(٣) من أصحاب هذا الاتجاه من المحدثين: مصطفى صادق الرافعي، الذي يرى أنّ العربية مرّت بأدوارٍ ثلاثة من التهذيب اللغوي كان آخرها دور قريش وحدها، وفيه سادت لغتهم قبل الإسلام، ومن ثم أنزل القرآن بعد ذلك بلغتهم، ينظر تأريخ آداب العربية: ١ / ٩٢ - ٩٤.

(٤) منهم الدكتور إبراهيم السامرائي - رحمه الله -، إذ يقول ((إنّ العربية قد وصلت إلينا في قدرٍ مشترك اتّفق فيه عامّة العرب، فجاء واضحًا في الشعر القديم، وفي النص الذي خلصت إليه لغة التنزيل، إنّ هذا القدر المشترك هو الفصيح العالي الذي لايمكن أن ينسب إلى قومٍ دون قوم))، تأريخ العربية: ٣١.

وذهب الدكتور (رمضان عبد التواب) برأيه مع أصحاب الاتجاه الثاني فهو يرى أنَّ اللهجة القرشية، كانت من أقوى اللهجات أثرًا في تكوين اللغة العربية الفصحى، وأنَّ اللغة العربية المشتركة، لم تكن لغة قريش وحدها، بدليل وجود الهمز فيها، وقريش لاتهمز، كما وردت إلينا الروايات المختلفة بذلك، وإنّما هي لغة موحّدة، اعتمدت في نشأتها على بعض الصفات الطيّبة، في اللهجات العربية المختلفة، سواء في ذلك لهجة قريش أو غيرها[1].

حقًا يمكن القول بأنّ لهجة قريش، أسهمت في تكوين العربية الفصحى بعناصر كثيرة، فلا مبالغة إذن، في إطلاق عبارة: (لغة قريش) على اللغة العربية الفصحى. وهذا - فيما يبدو - ما كان يقصده (فند ريس) بقوله: ((تقوم اللغات المشتركة دائمًا، على أساس لغة موجودة، حيث تتّخذ هذه اللغة الموجودة، لغة مشتركة من جانب أفراد مختلفي التكلّم))[2].

* * *

ثالثًا: لهجة طيّئ القديمة:

تناول الدكتور (رمضان عبد التوّاب) بعض الخصائص اللغوية لقبيلة طيئ القديمة. واستخرج عددًا من الظواهر اللغوية لهذه القبيلة، والتي أقرّ ها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخمسين سنة (١٩٨٣م - ١٩٨٤م). ومن المفيد أن نُعَرِّفَ أوّلاً بقبيلة طيئ، وكما يأتي:-

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٨٤.
(٢) اللغة لفند ريس: ٣٢٨، وينظر: فصول في فقه العربية: ٨٤.

نسب قبيلة طيّئ:-

تنسب قبيلة طيئ إلى جدّها الأكبر: طيئ بن أُدد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ[1]. و(طيئ) لقبٌ له، واسمه جُلْهمة[2]. و هي في الأصل إحدى القبائل القحطانية اليمنية؛ فإنّ (سبأ) هو: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[3].

منازل القبيلة:-

موطن قبيلة طيئ في شمالي الحجاز. قال ابن خلدون: ((كانت منازلهم باليمن، فخرجوا منه على إثر خروج الأزد منه، ونزلوا سُمَيراء وفَيْدًا في جوار بني أسد، ثم غلبوا بني أسد على أجأ وسُلمى، وهما جبلان في بلادهم، يعرفان بجبلي طيئ، فاستمروا فيها، ثم افترقوا في أوّل الإسلام في الفتوحات))[4].

وقد ذكر اليعقوبي بعض الأماكن التي كانت تقيم فيها على طريق الحاجّ من الكوفة إلى المدينة ومكة، فقال: ((والأجْفُر منازل طيئ، ثم فَيْد، و هي المدينة التي ينزلها عمال طريق مكة، وأهلها طيئ، وهي في سفح جبلهم المعروف بسُلمى، وتوز وهي منازل طيئ))[5].

فصاحة طيئ:-

تُعَدُّ طيئ عند اللغويين والنحاة العرب، من القبائل الفصيحة التي تؤخذ عنها اللغة، فإنّ القبائل التي نُقِلَت عنهم اللغة وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي هم: قيس وتميم وأسد و هذيل وطيئ، فإنّ هؤلاء هم الذين أكثر ما أُخِذَ عنهم ومعظمه، وعليهم أتّكل في الغريب و في الإعراب والتصريف، وأمّا الباقون فلم يؤخذ عنهم شيء؛ لأنّهم كانوا مخالطين لغيرهم من الأمم، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم

(١) الاشتقاق لابن دريد: ٣٨٠، والعقد الفريد: ٣ / ٣٩٩.
(٢) ينظر جمهرة أنساب العرب: ٣٩٧.
(٣) ينظر: الاشتقاق لابن دريد: ٣٦١.
(٤) العبر لابن خلدون: ٢/ ٢٥٤، نقلاً عن بحوث ومقالات في اللغة: ٢٢٨.
(٥) البلدان لليعقوبي: ٧١ -٧٢، وينظر صفة جزيرة العرب: ٣٣٧.

لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم، من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام ومصر[1].

وممّا يدل على مكانة اللغة الطائية في نفوس القوم، ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ) من أنّ ((طيئًا لا تأخذ من لغة أحد، ويؤخذ من لغاتها))[2].

((وما يؤخذ من لغات طيئ إلا لفصاحتها، ومكانتها بين القبائل الأخرى. كما إنّ اعتزاز طيئ بلغاتها، كان هو السبب - فيما يبدو - في عدم أخذها عمّا عداها من لغات العرب))[3].

خصائص لغويّة من لهجة طيئ القديمة:

تناول الدكتور رمضان عبد التواب عددًا من الخصائص اللغوية في لهجة طيئ، سأتناولها على النحو الآتي:-

١. ظاهرة الهمز: -

عدَّ سيبويه، والمبرد، وابن جني مخرج الهمزة من أقصى الحلق وهو مجهور وشديد[4]. أمّا المعاصرون فالهمزة عندهم صوت حنجري شديد[5]، واختلفوا في صفته، فمنهم من ذهب إلى أنّه لا هو بالمجهور، ولا هو بالمهموس[6]. ومنهم من ذهب إلى أنّه مهموس دائمًا[7].

أمّا الوصف العلمي لإنتاج صوت الهمزة فهو ((ينتج من انطباق الوترين الصوتيين (الغشائيين) والغضروفين الهرميين - في الحنجرة - انطباقًا كاملاً وشديدًا،

(١) ينظر: الحروف للفارابي: ١٤٧، والمزهر: ١ / ٢١١، والاقتراح: ١٩.
(٢) غريب الحديث: ٤ /١١، وينظر: الفائق، للزمخشري: ٣/ ٩١.
(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٣٠.
(٤) ينظر: الكتاب: ٤ / ٤٣٣ - ٤٣٤، والمقتضب: ١ / ١٩٢، ١٩٥، وسر صناعة الإعراب: ١ / ٥٢ - ٦٩.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٩١.
(٦) ينظر الأصوات اللغوية: ٩١، وعلم اللغة العام: الأصوات: ١١٢، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: ٩٥.
(٧) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٤، ومناهج البحث في اللغة: ١٢٥، ومحاضرات في اللغة: ٩٦.

بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقًا، فيحتبس داخل الحنجرة، ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار، فهو من الناحية العضوية صوت انفجاري (شديد)))[1].

أمّا موقف قبيلة طيئ من الهمز فيمكن بيانه على النحو الآتي:-

أ. التخلّص من الهمز:-

إنّ تحقيق الهمز كان خاصّة من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وهي تميم وما جاورها، وإنّ التخلّص من الهمز خاصّة حضرية، امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيّها[2]، ((فأهل الحجاز وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون))[3].

أمّا قبيلة طيئ فقد استنتج الدكتور رمضان عبد التواب أنّها كانت تميل إلى التخلّص من صوت الهمزة، من خلال ما روي عنهم في المصادر القديمة، مثل: يؤاخي، ويؤاكل، ويؤاسي، تبدلها حرفًا من جنس حركة ما قبلها، فتصير الأمثلة السابقة: يُواخي، ويُواكل، ويُواسي. وتشتق الماضي من خلال هذه الصيغ الجديدة؛ فتقول: واخيتُ، وواكلتُ، وواسيتُ[4].

وكذلك أنّهم كانوا يبدلون الهمزة في بعض المواضع هاءً؛ فقد ((حكى ابن جني عن قطرب أنّ طيئًا تقول: هِنْ فعلتَ فعَلْتُ، يريدون: إنْ، فيبدلون))[5]، ولم يقتصر قلب الطائيين الهمزة على (إنِ) الشرطية، بل حكى ذلك عنهم في همزة الاستفهام كذلك؛ فيقولون: ((هَزَيْدٌ فعَلَ ذلك؟ يريدون: أزيدٌ فعل ذلك؟))[1].

ب. همز ما لا يستحق الهمز:-

(١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٤.
(٢) ينظر في اللهجات العربية: ٦٦.
(٣) لسان العرب: ١/ ٢٢.
(٤) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٣٣، وتنظر الأمثلة في: تهذيب اللغة: ٦٢٣/٧، ولسان العرب: (أخا) ٢٣/١٨.
(٥) لسان العرب: (أنت) ١٧٨/١٦، والممتع في التصريف: ٣٩٧/١.
(١) لسان العرب: (ها) ٢٠ / ٣٧٣.

روى الفرّاء عن طيئ، أنهم كانوا يهمزون ما لايستحق الهمز، في قوله:((وربما غلطت العرب في الحرف، إذا ضارعه آخر من الهمز، فيهمزون غير المهموز، سمعت امرأة من طيئ تقول: رثأتُ زوجي بأبيات. ويقولون لبّأتُ بالحجّ، وحلأت السويق، فيغلطون))[٢] كما روي عنهم من أنّهم كانوا يهمزون:(السُّؤدَد)، وهو من سوَّدته، أي جعلته سيّدًا، فلا أثر للهمز في أصله[٣].

وكذلك همزهم للألف المقصورة؛ في مثل (حُبْلأ) بدلا من: (حبلى) وقد فسر الدكتور رمضان عبد التواب همز ماليس أصله الهمز عند طيئ، في خبر الفرّاء السابق، بأنّه حذلقة، أو مبالغة في التفصّح وتقعّر بالكلام، فهم يحاولون أن يردّوا العاميّة التي يتحدّثون بها إلى نمط اللغة الأدبية، وهم في محاولتهم هذه لا يفرّقون بين الظواهر الجديدة والقديمة، في لغة الخطاب، فإذا ردّوا كلمة جديدة إلى أصلها القديم أصابوا، أمّا إذا فعلوا مثل ذلك مع الكلمات التي احتفظت بالأصل القديم، وشابهت مع ذلك الجديد، فإنّهم حينئذ يكونون متقعّرين ومتحذلقين؛ وذلك كمن يعرف أنّ الصوت المركب: (aw) مثلا في العربية الفصحى، يقابل حركة الضم الممالة: (ō) في العاميّة؛ وذلك مثل: صُوم في صَوْم، وعُوم في عَوْم، ونُوم في نَوْم، ويُوم في يَوْم، فهو إذا ردّ هذه الكلمات إلى أصلها كان مصيبًا في كلامه، غير أنّ هناك كلمات لها مثل هذه الصورة في الأصل في اللغة الفصحى نفسها؛ مثل: (ثُوم) و (حُوت) و(رُوح) وغير ذلك. ((وهنا يحاول ذلك المتفصّح أن يقلب هذه الضمّات الأصيلة إلى الصوت المركّب، الذي تتميّز به اللغة الفصحى؛ فيقول: ثَوْم، وحَوْت، ورَوْح، قياسًا على ما فعله في تلك الكلمات السابقة، وعندئذ يأتي بشئ لا هو في لهجات الخطاب، ولا هو في اللغة الفصحى. وليس مافعله إلا نوعًا من أنواع القياس الخاطئ. وعلى هذا النحو يمكن تفسير ما ليس أصله الهمز في خبر الفرّاء السابق؛ لأنّ أولئك الطائيين يتركون الهمز في كلامهم ... فيقولون مثلا: فقيت عينه، ووجيت بطنه، بلا همز، ولكنّهم يسمعون اللغة الأدبية في شعر الشعراء، ومواقف الجدّ من القول، وفيها: فقأت عينه، ووجأت بطنه، بالهمز؛ فيقولون بناءً على هذا: حَلأت السويق،

(٢) معاني القرآن: ١ /٤٥٩.
(٣) ينظر: الاشتقاق لابن دريد: ٢١١.

ولَبَأتُ بالحجّ، ورثأت الميت عن طريق القياس الخاطئ، مبالغة في التّفصّح، بدلاً من حلّيت ولبّيتُ ورثّيتُ))[1].

٢ جهر السين والصاد:-

السين والصاد من الأصوات الأسنانية اللثوية، والسين صوت رخو مهموس مرقق، والصاد صوت رخو مهموس مفخّم، وهو النظير المفخّم للسين[2].

وقد روي عن قبيلة طيئ أنّها كانت تجهر الصوتين، أي تجعل الأوتار الصوتية تتذبذب معهما. وذلك بقلبها زايًا؛ فقال اللغويون: إنّ طيّئًا تقول في سَقَر: زَقَر، وفي الصَّقر: زَقْر، وفي الصِّراط: زِراط[3].

ويقيّد أبو الطيّب اللغوي، قلب الصاد زايًا في لغة طيئ، بسكونها؛ إذ يقول: ((ويقال: هي المِزْدَغة والمِصْدَغة، للمِخَدَّة. وطيئ تقلب كلّ صاد ساكنة زايًا))[4].

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ نطق الصاد عند الطائيين كان بإبداله زايًا مفخّمة تشبه نطق العوام للظاء، في مثل كلمة ظُلم؛ لأنّ هذه الزاي هي المقابل المجهور للصاد، غير أنّ اللغويين دَلّوا عليه بالزاي المرققة، لعدم وجود رمز للزاي المفخّمة في الكتابة العربية[1].

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٣٣ ـ٢٣٤.
(٢) ينظر: علم الأصوات اللغوية: ٦٥ ـ ٦٦.
(٣) ينظر: ديوان حاتم الطائي: ٥، والأمثال لمؤرج السدوسي: ٥١.
(٤) الإبدال: ١٢٦/٢.
(١) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٣٥.

٣. الطمطمانية:-

و هي عبارة عن إبدال لام التعريف ميمًا، فيقال مثلا: ((طاب امهواءُ و صفا امجَوُّ)) أي: طاب الهواءُ، وصفا الجوُّ[١].

وقد جاء في الأثر أنه ﷺ، قد نطق بهذه اللغة في قوله: (ليس من امبرِّ امصيامِ في امسفرِ)[٢].

وهذه الظاهرة عزتها بعض المصادر إلى الأزد أو إلى حِمْيَر. ولكن كثيرًا من المصادر تنسبها إلى قبيلة طيّئ[٣]. ومنها في قول بجير بن غَنَمَة الطائي:

ذاك خليلـــي وذو يُواصِـــلُني يرمـي ورائـي بامْسَـهْمِ وامْمَـلِمَهْ[٤]

أي: بالسهمِ والسّلِمة.

ويفسّر الدكتور(رمضان عبد التواب) هذه الظاهرة تفسيرًا صوتيًا، بقوله: ((هو أنّ اللام والميم من فصيلة واحدة، هي فصيلة الأصوات المتوسّطة أو المائعة، وهي مجموعة (اللام والميم والنون والراء)، وهذه الأصوات يُبْدَل بعضها من بعض كثيرًا في اللغات السامية.

ولا تزال هذه الظاهرة شائعة في العصر الحاضر في بعض جهات اليمن، كما أنّ منها كلمة في اللهجة المصريّة،وهي كلمة: (البارحة) التي ينطقها أهل مصر: امبارح))[٥].

(١) ينظر: فقه اللغة للثعالبي: ١٧٣، و المزهر: ١/ ٢٢٣، ومميزات لغات العرب: ١٢.
(٢) الحديث على هذه الرواية في: مسند الشافعي: ١٥٧، ونصب الراية: ٤٦١/٢، والكفاية في علم الرواية: ١٨٣.
(٣) ينظر: شرح الشافية للرضي: ٣/ ٢١٥، والجنى الداني في حروف المعاني: ٢٠٧، وهمع الهوامع: ١/ ٧٩، وشرح الأشموني على الألفية: ٣٧/١.
(٤) البيت في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٧١/١ (تحقيق: مازن المبارك)
(٥) دراسات وتعليقات في اللغة: ٨٢.

٤ـ قلب الياء والواو ألِفًا في المعتلات:ـ

من المعروف في العربية، أنّ الياء والواو إذا تحرّكتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألِفًا[١]، مثل: رمىٰ أصله: رَمَيَ، ودعا أصله: دَعَوَ.

أمّا: بَقِيَ، وخَشِيَ، ولَقِيَ، وهَوِيَ، وسَرُوَ، فلم تقلب ياؤ ها وواو ها ألفًا لاختلال شرط الفتح قبلها[٢]. أمّا قبيلة طيئ، فإنّها تطّرد الباب على وتيرة واحدة فتقلب كلّ ياء أو واو متحرّكة ألفًا، بشرط تحرّك ما قبلها على الإطلاق، فتقول: ((بَقا وبَقاتْ، مكان: بَقِيَ وبَقِيَتْ. وكذلك أخواتها من المعتل))[٣].

ويمتلئ شعر الطائيين بهذه الظاهرة، وجمع الدكتور عبد التواب عددًا من أبياتهم شاهدًا عليها، نذكر منها: قول زيد الخيل الطائي:

أفي كلّ عامٍ مأتمٌ تبعثونهُ ... على مِحْمَرٍ ثَوَّبْتُمُوه وما رُضا[٤]

وقوله كذلك:

لعمرُك ما أخشى التّصعلُك ما بَقى ... على الأرضِ قيْسِيٌّ يسوق الأباعرا[٥]

وقال رجل من طيئ:

إذا لم يَكُنْ مالٌ يُرى شَنِفَت له ... صدورُ رجالٍ قد بَقا لهم وَقْرُ[٦]

وقد وجد الدكتور رمضان عبد التواب أنّ هذه الظاهرة لم تقتصر على الأفعال المعتلة عند طيئ، فإنّهم يقلبون كلّ ياءٍ ألفًا، إذا تحرّكت وتحرّك ما قبلها في الأسماء أيضًا، وجمع المبثوث من أقوالهم في مصادر التراث وشعر بعض شعرائهم[١]، وممّا

(١) ينظر: إزالة القيود عن ألفاظ المقصود في فن الصرف: ١٠٨.
(٢) ينظر: الصرف، لحاتم الضامن: ١٩٣.
(٣) الصحاح: (بقى) ٦/ ٢٢٨٤، وينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١١، والجنى الداني للمرادي: ٣٩٠.
(٤) ديوانه: ٢٥، والكتاب: ١/ ٦٥، ونوادر أبي زيد: ٨٠، والبارع: ٥١١.
(٥) ديوانه: ٦٢، والجامع لأحكام القرآن: ٣/٣٧٠.
(٦) النوادر في اللغة لأبي زيد: ٧٨.
(١) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٤٢.

جمعه قولهم: ناصَاة[٢]، و باداة[٣]، وتو صاة[٤]، وخظاة بظاة[٥]، و فالاة[٦]، وباناة[٧] وباقاة[٨] في: ناصية، وبادية، وتوصية، وخظية بظية، وفالية، وبانية، وباقية.

وممّا ورد في شعرهم، كقول حريث بن عتّاب الطائي:

لقد آذنتْ أهلَ اليمامة طيئٌ بحربٍ كناصاة الحصان المُشَهَّرِ[٩].

ومثل ذلك قول حاتم الطائي:

فَقُلتُ لِأصباة صغار ونسوة بشهباءَ من ليل الثمانين قُرَّتِ[١٠].

يريد: أصبية، جمع: (صبيّ).

٥. كراهة توالي الأمثال:-

من المعروف في العربية الفصحى أنّ مضعّف الثلاثي من الأفعال الماضية، عند إسناده إلى ضمير رفع متحرّك، يتعذّر النطق بالفعل؛ لالتقاء الساكنين، ومن أجل ذلك تعود الحركة إلى الحرف الأول، ويفكّ الإدغام وجوبًا[١١]، مثل: ظلّ، أحسّ: ظَلَلْتُ وأَحْسَسْتُ.

وقد جاء عن قبيلة طيئ، أنّها كانت تحذف الحرف الأول من المتماثلين، فرارًا من توالي الأمثال، فتقول: ظَلْت وأَحَسْت[١].

ووجد الدكتور عبد التواب أنّ هذه الظاهرة منتشرة في أشعار الطائيين بكثرة[٢]، ومن المفيد أن نذكر شيئًا من شعرهم هذا، قال الطرماح بن حكيم الطائي:

---

(٢) ينظر: المخصص: ٤٠/٦، والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٧٠، ولسان العرب: (نصا) ١٩٩/٢٠.
(٣) ينظر: ديوان امرئ القيس: ١٢٣، والمخصص: ٤٠/٦.
(٤) ينظر: لسان العرب: (ورى) ٢٦٨/٢٠.
(٥) ينظر: لسان العرب: (خظا) ١٨/ ٢٤٥.
(٦) ينظر: مجالس ثعلب: ٢/ ٤٩٦.
(٧) ينظر: مقاييس اللغة: ١/ ٣٠٢، ولسان العرب: (بنى) ١٠٤/١٨.
(٨) ينظر: الممتع في التصريف: ٥٥٧/٣.
(٩) النوادر في اللغة لأبي زيد: ١٢٤.
(١٠) ديوانه: ١٠.
(١١) ينظر: الصرف لحاتم الضامن: ٩٥.
(٢) ينظر: شرح المفصّل: ١٥٣/١٠.

آذَنَ النـــــاوِي بَيْنُونَـــــة ظَلْـــتَ مـــنها كصـــريع المُـــدامْ[٤]

ومثل ذلك قول حُرَيث بن عتّاب الطائي:

عَوَى ثمّ نادى هل أَحَسْتُمْ قُلادُصا وُسِمْنَ على الأفخاذ بالأمس أربعا[٥]

يريد: أَحْسَسْتُم. وبهذه اللغة جاء القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾[٦]. وقوله ﷻ: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[٧].

٦. كسر حروف المضارعة:

تطرَّق سيبويه إلى هذه الظاهرة في باب (ماتكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحروف حين قلت فَعِلَ) وعزاها إلى جميع العرب ((إلاّ أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تِعْلم ذاك، وأنا إِعلم، وهي تِعْلم، ونحن نِعْلم ذاك))[٨]. ولم يَرِد في اللهجات العربية القديمة كسر حرف المضارعة إذا كان ياءًا فـ ((جميع العرب إلاّ أهل الحجاز يجوِّزون كسر حرف المضارعة سوى الياء))[١]. وقد عُرِفت هذه الظاهرة عند كثير من اللغويين باسم (تلتلة بهراء)[٢].

وقد اشتهرت ظاهرة كسر حرف المضارعة عن قبيلة طيىء في مضارع الفعل (خال) عند إسناده للمتكلم، وهو: (إِخالُ)[٣]، يقول الدكتور عبد التواب: ((يبدو أن العربية الفصحى قد تأثّرت باللغة الطائية في كسر همزة الفعل: (إخال)، فاستخدمه

(٣) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٧٣ ـ ٧٤.
(٤) ديوانه: ٤٠٠.
(٥) مجالس ثعلب: ٢/ ٥٣٧، وخزانة الأدب: ٤/ ٥٨٣، وشرح شواهد المغني: ١٩٠.
(٦) طـــه / ٩٧.
(٧) الواقعة / ٦٥.
(٨) الكتاب: ٤/ ١١٠.
(١) شرح الشافية للرضي: ١٤١/١٢.
(٢) ينظر: مجالس ثعلب: ٨١/١، وعنه في الخصائص: ١١/٢، وخزانة الأدب: ٩٦/٤، ومميّزات لغات العرب: ٢١.
(٣) بنظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٧٩.

الشعراء كثيرًا في هذه الصورة))[٤]، مثل أبي ذؤيب[٥]، والعباس بن مرداس السلمي[٦]، وزهير بن أبي سُلمى[٧]، وكعب بن زهير[٨].

ولذلك يقول المرزوقي: ((خِلتُ أَخالُ، وإِخالُ طائيّةٌ، فكثر استعمالها في ألسنة غيرها، حتى صار (أخال) كالمرفوض))[٩]. كما يقول الرضي: ((والكسرة في همزة إخال وحده أكثر وأفصح من الفتح))[١٠].

ويُعَدُّ كسر أحرف المضارعة ظاهرة سامية قديمة توجد في العربية والسريانية والحبشية[١١].

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: إنّ ((الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كلّ الحالات[♠]، وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من الساميّة الأولى ثم تطوّر إلى كسر في معظم اللغات الساميّة))[١].

أمّا بروكلمان فيرى أنّ الأصل في حروف المضارعة هو الفتح، ثم ظهرت الكسرة بعد ذلك، يقول: ((غير أنّ الفتحة قد عادت إلى الظهور مطلقًا في العربية، ولا تظهر فيها الكسرة إلاّ في اللهجات))[٢].

أمّا الدكتور (رمضان عبد التوّاب) فيرى أنّ فتح أحرف المضارعة ((حادث في العربية القديمة بدليل عدم وجوده في اللغات الساميّة الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة))[٣].

---

(٤) المصدر نفسه: ٧٩.
(٥) ينظر: ديوان الهذليين: ٨/١، والمنصف لابن جني: ٢٢٢/١.
(٦) ينظر: ديوانه: ق٢/٣٨ ص ١٠٨، ولسان العرب: (عين) ١٨٦/١٧.
(٧) ينظر: ديوانه: ٧٣، ولسان العرب: (قوم) ٤٠٨/١٥.
(٨) ينظر: ديوانه: ٩.
(٩) شرح الحماسة للمرزوقي: ٢٤٨/١.
(١٠) شرح الشافية: ١٤١/١.
(١١) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٥.
(♠) الصواب: في الحالات كلّها.
(١) في اللهجات العربية: ١٤٠.
(٢) فقه اللغات الساميّة: ١١٦.
(٣) فصول في فقه العربية: ١٢٥.

وممّا يؤكد أصالة الكسر في حروف المضارعة في اللغات الساميّة هو استمراره حتى الآن في اللهجات الحديثة، وبقاء بعض آثارها في العربية الفصحى؛ إذ روي الكسر في همزة (إخال)(٤).

٧. تسكين ضمير الغائبة المتّصل وفتح ما قبله:-

إنّ ضمير الغائبة المتّصل بالاسم والفعل والحرف في العربية الفصحى، هو: عبارة عن هاء مقتوحة ممدودة، مثل:(كتابها، ورأيْتُها، ولها). أمّا أهل طيئ فيسكّنون هذا الضمير، ويفتحون ماقبله، يقولون:((كدتُ اضْرِبَهْ، إذا عنوا المؤنث، إذا أرادوا أن يقولوا: كدتُ اضْرِبها))(٥).

ويرى الدكتور (رمضان عبد التوّاب): ((إنّ ذلك كان خاصًّا بحالة الوقف عند طيئ))(١). مستدلاً بقول الشاعر الطائي (عامر بن جوين):

فَلَـمْ أر مثلهـا خُباسـة واحـد ونَهْنَهْتُ نفسي بعد ما كدتُ أفْعَلَهْ(٢).

إذ إنّ الشاعر لم يجرِ هذه الظاهرة على كلمة:(مثلها) في حشو البيت.

وكذلك يؤكد الدكتور رمضان عبد التواب على أنّ هذه الظاهرة توجد في اللغة السريانية في بناء هذا الضمير على السكون وفتح ما قبله فتحة طويلة وأنّ هذه اللغة لا تزال باقية في نواحي نجد وحائل في الجزيرة العربية، يقولون مثلاً: (الكتابُ حِنّا جيناك بُهْ) بضم الباء في حال التذكير، و (الكتب حِنّا جيناك بَهْ) بحذف ضمير المؤنثة الغائبة وإسكان الهاء وفتح الباء قبلها(٣).

٨. المصدر الميمي واسما الزمان والمكان من المثال الواوي:-

(٤) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٥.
(٥) جمهرة اللغة: ١/٢٣٤.
(١) دراسات وتعليقات في اللغة: ٨٣.
(٢) الكتاب: ١/ ١٥٥، وما يجوز للشاعر في الضرورة: ٢٣٢.
(٣) ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة: ٨٣ ـ ٨٤.

الذي عرف في العربية الفصحى، أنّ صيغ المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان تكون على وزن(مَفْعَل) بفتح العين، مثل: (مَقْتَلْ) بمعنى: القَتْل، وزمان القتل، ومكانه. ويستثنى من هذه القاعدة أمران:

الأول: الفعل الصحيح الآخِر المكسور العين في المضارع، فإنّ المصدر الميمي منه كالعادة على (مَفْعَلْ) بفتح العين . أمّا الزمان والمكان منه، فيأتيان على (مَفْعِل) بكسر العين.

والآخر: المثال الواوي الصحيح الآخِر، فإنّ صيغ المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان تكون على (مَفْعِل) بكسر العين، مثل: (مَوْعِدْ) بمعنى: الوعد، وزمان الوعد، ومكانه. وقد خرجت طيئ عن الأمر الثاني هذا، فلم تستثنِ المثال الواوي الصحيح الآخِر من القاعدة العامّة فهو عندهم جارٍ على الأصل، فيقولون لجميع ذلك (مَوْعَد) على (مَفْعَل) بفتح العين.

ويفسر الدكتور رمضان عبد التواب اتجاه الطائيين إلى فتح عين الكلمة، ((بالمماثلة الصوتية، أو التوافق الحركي، بين حركة الميم وحركة عين الكلمة))[1]. ولم أجد قانوناً صوتيًا يرجح هذا التفسير، ولا نقول إلا أنّ لطيّئ توسع في اللغات والله أعلم.

٩. قلب ألف المقصور ياءً :-

روي عن قبيلة طيئ أنّهم كانوا يقلبون الألف فيما ينتهي في العربية الفصحى بالألف المقصورة إلى ياء في الوقف والوصل، ويقولون فيه مثل: أفعى وحُبلى: أَفْعَيْ و حُبْلَيْ ، ويشارك طيئًا فزارة وناسٌ من قيس، في هذه الظاهرة في الوقف فقط[2].

(١) دراسات وتعليقات في اللغة: ٨٥.
(٢) ينظر: الكتاب: ٢٨٧/٢، والحجّة لأبي علي الفارسي: ٦٣/١ ـ ٦٤.

ويرى علماء العربية أنّ الألف المقصورة هي الأصل، وأنّ الياء في لهجة طيئ وغيرها في مثل: حُبْلَيْ و أُفْعَيْ، ليست إلاّ انقلابًا لتلك الألف، يقول ابن جني: ((ومنهم من يبدل هذه الألفات في الوقف ياءًا))[٣].

غير أنّ الدكتور رمضان عبد التواب يقول: ((إنّ الاطّلاع على اللغات السامية من جانب، وتحكيم القوانين الصوتية من جانب آخر يدلان على أنّ مثل: حُبْلَيْ وأُفْعَيْ بالياء، أسبق في سلسلة التطوّر اللغوي من: أفعى و حُبلى بالألف))[٤].

فحينما نظر إلى الأفعال الناقصة، مثل: رمى و دعا، وهي تماثل في صورتها هذه صورة الأسماء المقصورة في الفصحى، وجد أنّ في أصلها الأول في اللغات الساميّة، كانت تتصرّف تصرّف الصحيح تمامًا. مستدلاً على ذلك بوجود هذا الأصل القديم في اللغة الحبشية الجعزية، وهي إحدى اللغات الساميّة، ففيها مثلاً يقال: (صَحَوَ) في: صحا، و(تَلَوَ) في: تلا، و(رَمَيَ) في: رمى. وليس الأمر مقصورًا في الحبشية على الأفعال الناقصة، بل إنّ الأفعال الجُوَفَ، يُعامل شيءٌ منها معاملة الصحيح كذلك، ويقال فيها مثلاً: (بَيَنَ) في: دانَ، و (بَيَنَ) في بانَ، وغير ذلك.

ولم تبقَ من هذه المرحلة في اللغات الساميّة الأخرى إلا بقايا قليلة في العربية، من الأفعال الجوفاء، مثل: حَوِرَ، وعَوِرَ، وهَيِفَ واستَحْوذَ، واستَنْوَقَ، واستصْوَبَ، وغيرها.

وهو يرى أنّ الرجوع بالاسم المقصور إلى هذه المرحلة القديمة فإنّه يكون مثل: هُدَيٌ، وقَنًيٌ، وعَصَوٌ، وقَفَوٌ، وما إلى ذلك.

أمّا المرحلة الثانية في تطوّر الأفعال المعتلّة والأسماء المقصورة، فهي مرحلة التسكين، أو سقوط الحركة بعد الواو والياء للتخفيف، فيصبح الفعل على نحو: قَضَيْ و دَعَوْ، كما تصبح الأسماء المقصورة على نحو: أُفْعَيْ و عَصَوْ. وعلى ذلك يقرّر عبد التواب أنّ هذه المرحلة قد بقيت عند قبيلة طيئ، فيما روي لنا من الأمثلة السابقة: أُفْعَيْ و حُبْلَيْ و مَثْنَيْ وغيرها[١]. كذلك يؤكد الدكتور عبد التواب أنّ بعض

(٣) المحتسب: ٧٧/١.
(٤) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٤٤.
(١) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

الأفعال المعتلّة، قد وصلت إلى هذه المرحلة عند طيئ، مستدِلاً برَجَز أحد رجّازهم الذي يساق في المصادر العربية، الذي يقول:

إنَّ لطيٍّ نسوةً تحت الغَضَيْ
يمنعهنَّ اللهُ مِمَّن قـد طَغَيْ
بالمشرفيَّاتِ وطَعْنٍ بالقَنَيْ[٢].

يريد: الغضا، وطغى، والقنا[٣].

ويفسّر الدكتور (رمضان عبد التواب) صورة المقصور عند طيئ، عندما يضاف إلى ياء المتكلم، بوصول المقصور إلى هذه المرحلة المذكورة آنفًا؛ ((إذ كانوا يقولون في مثل: هَوايَ وهُدايَ: هَوَيَّ (هَوَيْ + يَ) وهُدَيَّ (هُدَيْ + يَ) وغير ذلك))[٤]. ففي حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ: (فوضعوا اللُّجَّ على قـفَيَّ) يعني السيف على قفايَ، فقد نصَّت المصادر على أنَّ (قـفَيَّ) هنا لغة طائيّة[١].

١٠. لغة أكلوني البراغيث:

القاعدة المطّردة في العربية الفصحى أنَّ الفعلَ يجب إفراده دائمًا، حتى وإنْ كان فاعله مثنى أو مجموعًا، فلا تلحقه علامة تثنية ولا جمع للدلالة على تثنية الفاعل أو جمعه. وعلى هذا جاءت الجمل الفعلية في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾[٢]، كما قال ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[٣].

أما قبيلة طيئ، فقد روي لنا عنها[٤]، أنّها كانت تلحق الفعل علامة تثنية للفاعل المثنى، وعلامة جمع للفاعل المجموع. وتعرف هذه الظاهرة عند النحاة بلغة (أكلوني

(٢) المنصف: ١/١٦٠، والمحتسب: ١/ ٧٧.
(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٤٦.
(٤) المصدر نفسه: ٢٤٧.
(١) ينظر: غريب الحديث، لأبي عبيد: ٤/١١.
(٢) آل عمران /١٢٢.
(٣) آل عمران / ١٤٦.
(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٢٩٧، ومغني اللبيب: ١/ ٤٧٨ (طبعة مازن المبارك)، والجنى الداني في حروف المعاني: ١٧١، وهمع الهوامع: ١/ ١٦٠، والقاموس المحيط: (الواو) ٤/ ٤١٣.

البراغيث) ؛ لأنّ سيبويه هو أول من مثّل لها في كتابه، فقال: ((... ومن قال: أكلوني البراغيث، قلت على حدّ قوله: مررت برجلٍ أَعْوَرَيْنِ أَبَواهُ))[٥].

وإنّ هذه اللغة هي الأصل في اللغات الجزرية (الساميّة)[٦]، ((وقد تخلّصت العربية الفصحى من هذه الظاهرة، رويدًا رويدًا، أخذًا بمبدأ الاستغناء عن بعض العلامات، عند تكدّسها للدلالة على الظاهرة الواحدة؛ فإنّ الذي كان يدل على التثنية هنا، هو علامة التثنية في الفعل، ووضع الفاعل في صيغة الجمع.

وإذا استغنت اللغة عن العلامات المتّصلة بالفعل لم تخسر الدلالة على التثنية والجمع، لوجود مايدلّ عليهما في صيغة الفاعل نفسها))[١].

ويبدو لي أنّ هذا الرأي يفسر لنا السر في ورود هذه اللغة قليلا في النصوص العربية الفصيحة، من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب الفصحاء.

١١. (ذو) الموصولـــة:

تستخدم قبيلة طيّئ (ذو) اسمًا موصولاً عامًّا للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، بصورة واحدة لا تتغير في كلّ ذلك[٢].

وقد وردت هذه اللغة كثيرًا في نثرهم وأشعارهم وأمثالهم، وجمع الدكتور عبد التواب شواهد متعدّدة تمثل هذه الصورة[٣]، من المفيد أنْ نذكر منها: قول سنان الفحل الطائي:

فـــإنّ المـــاءَ مـــاءُ أبـــي وجـــدّي وبئـــري ذو حفـــرتُ وذو طويـــتُ[٤]

وقول قوال الطائي:

---

(٥) الكتاب (بولاق): ٢٣٧/١.
(٦) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٣٠٠.
(١) المصدر نفسه: ٣٠١.
(٢) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ٣٠٣، وأمالي ابن الشجري: ٣٠٥/٢، وشرح الكافية للرضي: ٤١/٢.
(٣) ينظر بحوث ومقالات في اللغة: ٢٥٣ ـ ٢٥٥.
(٤) شرح الحماسة، للمرزوقي: ٥٩١/٢، ومجمع الأمثال: ٤٥/١، وشرح قطر الندى وبل الصدى: ١٠٢.

قولا لهذا المرءِ ذو جاء ساعيًا هَلُمَّ فإنَّ المشرفيَّ الفرائضُ(٥)

(٥) خزانة الأدب: ٢/ ٢٩٥.

وقول مُلْحَة الجرمي الطائي:

يغادر محض الماءِ ذو هو مَحْضُهُ على إثرِهِ إذ كانَ للماءِ من محضِ(١)

وقول حاتم الطائي:

إذا مـا أتـى يـومٌ يُفَـرِّقُ بيننـا بمـوتٍ فكـن يـا وَهْـمُ ذو يـتأخَّرُ(٢)

كما قال رجل من طيئ:

فـإنَّ بيـتَ تَمـيمٍ ذو سـمعتَ بـهِ فيـه تنمَّـتْ وأرسـت عِزَّهـا مُضَـرُ(٣)

وكذلك وردت هذه الصورة في أمثالهم؛ نحو قولهم:((أتى عليهم ذو أتى))(٤)، أي: أتى عليهم الذي أتى على الناس، و هو الموت وأيضًا فيما رواه الجاحظ عن الأصمعي، أنّه قال: ((قال أبو سليمان الفقعسي لأعرابيّ من طيئ: أبأمرأتك حَمْل؟ قال: لا وذو بيته في السماء، ما أدري واللهِ، ما لها من ذنبٍ تشتال به، و ما أتيتها إلاّ وهي ضَبِعَة))(٥).

ثم ناقش الدكتور (رمضان عبد التوّاب) أقوال العلماء(٦)، في أنَّ قبيلة طيئ لم تكن كلّها تجعل (ذو) الموصولة، ملازمة لحالة واحدة دائمًا، وخَلَصَ إلى القول في هذه المسألة إلى أنَّ طيئًا تنقسم في (ذو) الموصولة على أربع فرق:(٧)

الأولى: توحّد (ذو) دائمًا، وتبنيها على الضمّ.

الثانية: توحّد (ذو) دائمًا، وتعربها إعراب (ذي) بمعنى صاحب.

الثالثة: تجعل (ذو) للمفرد المذكّر، ومثناه، وجمعه، و (ذات) للمفردة المؤنثة، ومثناها، وجمعها .

---

(١) معجم الشعراء، للمرزباني: ٤٤٤.

(٢) ديوانه: ٢٧٢، ورواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٢٤٩/١، (بموتٍ فكن أنت الذي يتأخر) ولا شاهد فيه على هذه الرواية.

(٣) الكامل في اللغة والأدب: ٢١٧/٣، وأمالي ابن الشجري: ٣٠٥/٢.

(٤) مجمع الأمثال، للميداني: ٤٥/١.

(٥) البيان والتبيين: ٨١/٢.

(٦) ينظر: أقوالهم في: المقرب: ١/ ٥٩، وشرح التسهيل لابن مالك: ١/ ٢٢٢، وشرح الكافية للرضي: ٢/ ٤١، و الجنى الداني: ٢٤٢.

(٧) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

الرابعة: تصرّف (ذو) على حسب الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث.

ويرى الدكتور رمضان عبد التوّاب أنّ ((الفرقة الأولى، تمثل الظاهرة في صورتها القديمة، بدليل ما في العبرية، والنقوش العربية القديمة. وما عند غير هذه الفرقة، تطوّر لعب فيه القياس اللغوي دورًا كبيرًا))[1].

١٢. الوقف على تاء التأنيث:-

من المعروف أنّ العربية الفصحى، تقف على تاء التأنيث في الاسم بالهاء، ولكنّ قبيلة طيئ وحدها من القبائل العربية القديمة، تقف على هذه التاء بغير إبدال، فيقولون: أَمَتْ وجارِيَتْ وطَلحَتْ. أي:هذه أمة وجارية وطلحة[2]. يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((إنّ هذا الذي تصنعه قبيلة طيىء، هو ما يوجد في اللغتين: الأكادية، والحبشية من اللغات الساميّة، أخوات اللغة العربية. وهو يُروى كذلك عن اللغة الحميرية... وقد حدث ذلك أيضًا في كثير من المؤنثات العربية، التي دخلت اللغة التركية، التي جاءتنا من تركيا بصورتها الجديدة؛ مثل: طلعت، وعزّت، وألفت وقسمت، ونعمت، وحشمت، ومدحت، وعفّت، وبهجت، وعصمت، وشوكت ومرفت، وثروت وغيرها. فهذه الأعلام ليست في الحقيقة، إلاّ الصورة التركية، للمصادر والأسماء العربية التالية*: طلعة، وعزّة، وألفة، وقسمة، ونعمة وحشمة، ومدحة، وعفّة، وبهجة، وعصمة، وشوكة، ومروة، وثروة، ونحوها))[3].

وكذلك تروي المصادر العربية، أنّ قبيلة طيئ، كانت تقف على تاء جمع المؤنث السالم وما يماثلها بالهاء؛ فقد سُمع بعضهم يقول: (دفن البناه من المكرماه) يريد: دفن البنات من المكرمات، وقولهم: (كيف الأخوة والأخواه) يريد: كيف الأخوة والأخوات، ومثل ذلك قولهم: (هيهاه) و (أولاه) في هيهات وأولات[1].

---

(١) المصدر نفسه: ٢٥٨.
(٢) ينظر: لسان العرب: (ها) ٢/٣٧٠، وشرح شواهد الشافية: ٤/ ١٩٩.
(*) الصواب : الآتية
(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٥٩ ـ ٢٦٠.
(١) ينظر: الممتع في التصريف: ١/ ٤٠٢، وشرح المفصّل لابن يعيش: ١٠/٤٥، وشرح الأشموني: ٤/٢١٤، وهمع الهوامع: ٢/٢٠٩.

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنّ ذلك لم يكن لغة لهم جميعًا، مستدلاً بما ورد في بعض المصادر العربية عند عرض هذه الظاهرة، وهو: ((وسمع إبدالها هاء في قول بعضهم))(٢).

ثم يفسر هذه الظاهرة بقوله: ((ونحن نفترض في بعض هؤلاء الطائيين، أنهم كانوا يقفون على تاء التأنيث في المفرد بالهاء، كما في العربية الفصحى تمامًا، غير أنّ هؤلاء القوم قاسوا تاء جمع المؤنث السالم، على تاء تأنيث المفرد، ولا سيّما تلك التاء التي تقع في المفرد بعد ألف؛ مثل تاء: صلاة، وزكاة، وحياة، وقناة وأداة وأناة، ونجاة، وحماة ، وفلاة، ووفاة، وحصاة، ونواة، وقناة، ورواة، ومهاة وغيرها))(٣).

١٣. القُطْعَـــة:ـ

القَطْعَة(٨): عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه قال الخليل: ((والقطعة في طيئ، كالعنعنة في تميم، وهي أن يقول: يا أبا الحكا، وهو يريد: يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة))(٤).

ويقول الدكتور عبد التواب: ((القطعة على هذا نوع من ترخيم اللفظ، كما نقول نحن الآن في مصر: (ياوَلَ) في: يا ولد))(٥).

رابعًا: امتداد اللهجات العربية القديمة في بعض اللهجات المعاصرة:ـ

قد حدّد أنستاس الكرملي (ت ١٩٤٨م) مدلول العامية بقوله:((هي لغة تخالف اللغة الفصيحة بإعرابها أو تعبيرها أو ألفاظها أو وضعها أو تنسيقها لتصحيف أو تحريف أو تقديم أو تأخير وقع فيها، أو لخلوّها من الشيوع المقبول عند أصحاب اللغة

(٢) ينظر: شرح الأشموني: ٢١٤/٤.
(٣) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٦١.
(٨) ضبطت الكلمة بكسر القاف في نشرة الدكتورين السامرائي والمخزومي لكتاب العين، وهو خطأ، والصواب ضم القاف، ينظر: القاموس المحيط: (قطع) ٧١/٣.
(٤) العين: (قطع) ١٣٧/١.
(٥) دراسات وتعليقات في اللغة: ٧٧.

الفصيحة. أو بعبارة أخصر: هي اللغة التي ابتعدت عن اللغة الفصحى إعرابًا أو لفظًا أو معنًى أو صوغًا))[1].

ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أنّه لا يمكن تحديد بداية العامية، فهو أمرٌ يقوم على التخيّل والمعروف أنّها قديمة قِدَمَ الفصيحة؛ إذ يقول بهذا الخصوص: ((إذًا فالعاميّة قديمة جدًّا، ولا بدّ أن تكون العامية قد صاحبت الفصيح المهذّب في جميع عصور التأريخ اللغوي، وربّما لم تكن العربية بدعًا بين اللغات في هذا الباب. فكثير من لغات الأمس ولغات اليوم قد عرفت هذه الظاهرة اللغوية، ويعني هذا أنّ شيئًا من مبدأ الازدواج في اللغة كان قد وقع، وما زال يقع في كلّ مرحلةٍ من مراحل التأريخ))[2].

وهذا ما ذهب إليه المرحوم العلاّمة طه الراوي الذي يرى أنّ العاميّة رافقت الفصحى منذ عهد عهيد، وأنه كان للعرب في جاهليتهم لغتان فصحى وعاميّة[3].

أمّا الدكتور صبحي الصالح فقد ذهب إلى أنّ العاميّة فرع من اللغة الفصيحة، ومن المعروف أنّ الأصل أسبق إلى النشوء من الفرع، وإلا لما كان الأصل أصلا والفرع فرعًا، فاللغة الفصحى ـ كما يرى الصالح ـ هي أسبق من العاميّة وليس العاميّة توأمة الفصحى كما يرى الكرملي[4]، إذ يقول الصالح: ((ممّا لا ريبَ فيه أنّ العاميّة متفرّعة عن الفصحى، ومتأثرة بها وإنْ كانت أحيانًا تشويهًا وتحريفًا لها))[5].

وقد رأى بعض الباحثين أنّ ثمرة الاختلاط بالأعاجم هذه العاميّة المرذولة، وهكذا شابت الألسن العربية ((ونشأت لغة جديدة في الأمصار الإسلامية، تناقلتها الألسنة، وصارت لغة التعبير اليومي وأطلقنا عليها العاميّة))[1].

---

(١) مقال (اللغة العاميّة توأمة اللغة الفصيحة)، مجلة المقتطف، المجلد / ٤١، ص: ٥٧٥، سنة (١٩١٢م).
(٢) التطوّر اللغوي التأريخي: ١٥٣.
(٣) ينظر: نظرات في اللغة والنحو: ٨١ ـ ٨٢.
(٤) ينظر: اللغة العاميّة توأمة اللغة الفصيحة: ٥٧٦.
(٥) دراسات في فقه اللغة: ٣٦٠.
(١) أثر القرآن في تطوّر النقد الأدبي: ١٥٤.

وبرهن الدكتور (رمضان عبد التوّاب) على نظريّته التي ترى أنّ كثيرًا من الخصائص اللهجية القديمة، لها امتدادها في اللهجات المعاصرة في الوطن العربي؛ وذلك بتأمّله ما روي عن اللهجات القديمة، في بطون المصادر العربية وإثباته بالأمثلة أنّ ما نسمعه الآن في بعض لهجاتنا الحيّة المعاصرة، ليس في بعض ظواهره، إلا امتدادًا لهذا الذي روي لنا في القديم .

وهو بهذا يبطل ظن كثير من الناس أنّ اللهجات الحيّة المعاصرة، في البلاد العربية المختلفة، ليست إلاّ انحطاطًا من العربية الفصحى.

وسأبين جهده هذا ببيان الظاهرة اللهجية القديمة أوّلاً، ومن ثم أذكر الأمثلة التي ساقها الدكتور عبد التواب من اللهجات المعاصرة، والتي لها امتداد من الظاهرة القديمة المذكورة، وعلى النحو الآتي:

تلتلة بهراء:

سبق أن فصّلنا القول في هذه الظاهرة عند تناولنا لهجة قبيلة طيئ القديمة، وسنترك التفصيل هنا تجنّبًا للتكرار. على حين نذكر أنّ التلتلة هي: كسر حرف المضارعة في الثلاثي، والتي عزا ها صاحب لسان العرب إلى كثير من القبائل العربية؛ فقال: ((وتِعلم، بالكسر: لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة، وعامّة العرب))[٢]. ونحن نعرف أنّ العربية الفصحى تفتح حروف المضارعة (أنيت) في الثلاثي.

وذكر الدكتور رمضان عبد التواب: أنّ هذه الظاهرة مستمرّة حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة كلّها؛ إذ يقولون مثلا: ((مِين يِقْرا ومِين يِسْمَع؟ بكسر حرف المضارعة، في لغة التخاطب اليومية. ولم يبقَ فتح حرف المضارعة في اللهجات الحديثة - فيما أعلم - إلا في لهجة نجد، إذا كانت فاء المضارع ساكنة؛ مثل: يَرْمي، ويَلْعَب، ويَركض، ولا يكسر حرف المضارعة في هذه اللهجة، إلا إذا كان ما بعده متحرّكًا مثل: يِسوق، ويِنوم (مضارع نام)، ويِسابق، ويِلاكم، ويِهاوش وغير

(٢) لسان العرب: (وقى) ٢٨٣/٢٠.

ذلك))[1]. وكذلك نجد هذا الامتداد في اللهجة العراقية، يقولون مثلا: نِعْلَم، وتِعْلَم، ويِعْلَم، بكسر حرف المضارعة.

استعمال اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي على وزن مفعول:

من المعروف في العربية الفصحى، أنّ اسم المفعول يشتق من مصدر الفعل الأجوف، إذا كانت ألفه منقلبة عن الياء مثل: بَاع يَبيع بيعًا، ((كان اسم المفعول منه على مثل: مَبِيْع. والأصل: مَبْيُوع، نقلت حركة الياء إلى الباء، فالتقى مدّان ساكنان، فحذف أحدهما وهو الواو، ثم قلبت الضمة كسرة، لئلا تنقلب الياء واوًا فيلتبس الواوي باليائي فصار مَبِيْع))[2]، و هذا ما يسمى الإعلال بالنقل والحذف فتقول مثلاً: مَبِيع، ومَدِين ومَخِيط، ومَعِيب، ومَكِيل، وغير ذلك.

غير أنّ قبيلة تميم من القبائل العربية القديمة، يستعملون اسم المفعول من الفعل الأجوف اليائي على التمام، أي على وزن (مفعول)، من دون إعلال يطرأ عليه، قال عبد القادر البغدادي في التعليق على قول العباس بن مرداس السلمي:

قد كانَ قَوْمُكَ يحسبونك سيِّدًا وإخال أنَّكَ سَيِّدٌ مَغْيُونُ

((قوله مغيون، جاء على لغة تميم. ولغة غيرهم: مَغِين))[3].

وهناك أمثلة على امتداد هذه الظاهرة اللهجية إلى اللهجات المعاصرة ساقها لنا الدكتور عبد التواب، منها؛ قول الناس في مصر مثلاً: ((فلان مَديون، أي عليه دين، ومَرْيوح، أي ضعيف لا يقدر على حمل الأثقال، ومَطْيور، أي متسرّع في عمله، ومَخْيول، أي منشغل بما في خياله من أوهام، كما يقال في بعض البلاد العربية عن الثوب أنّه مَخْيوط، و عن فلان من الناس أنّه مَهْيوب، و عن الشئ أنّه مَعْيوب و مَبْيوع، وعن الحَبِّ أنّه مَكْيول... وغير ذلك))[1].

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٦٧.
(٢) الصرف: ١٦١.
(٣) شرح شواهد الشافية: ٣٨٨/٤. والبيت في ديوانه: ١٠٨.
(١) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٦٨ - ٢٦٩.

وكذلك نجد لهذه الظاهرة امتداداتها في لهجتنا العراقية المحلية: فيقولون: مَبْيوع، ومَچيول، ومَهيوب، ومَخيوط، وغير ذلك.

سقوط الهمزة:

إنّ صوت الهمزة أصيل في اللغات السامية، إلا أنّ الجهد العضلي الذي يتطلّبه في نطقه، أدّى إلى ضياعه في كثير من اللغات السامية، واللهجات الحجازية القديمة في العربية(٢).

يقول سيبويه، وهو يتحدّث عن إبدال الهمزة واوًا أو ياءًا: ((واعلم أنّ الهمزة، إنّما فعل بها هذا الإبدال من لم يحققها؛ لأنّه بَعُدَ مخرجها؛ ولأنّها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجًا؛ فثقُلَ ذلك عليهم لأنّه كالتهوّع))(٣).

وكذلك يقول ابن يعيش: ((اعلم أنَّ الهمزة حرف شديد مستثقل، ويخرج من أقصى الحلق... ، فاستثقل النطق به...؛ فلذلك ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس))(٤).

وظاهرة سقوط الهمزة عند الحجازيين القدامى، ما زال لها امتداد في اللهجات المعاصرة، يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((ومن الظواهر الشائعة في اللهجات المعاصرة، وهي امتداد للقديم كذلك: ظاهرة سقوط الهمزة، في غير أول الكلمة كثيرًا، مثل: قولنا في لهجات الخطاب: بير، وياكل، وراس، ويملا، ويقرا وريّس، وخطيّة، وروس، وفوس وعباية، وملاية، ويودّي، وجينا ومُرُوَّة ونحو ذلك؛ بدلاً من: بئر، ويأكل ورأس، ويملأ، ويقرأ، ورئيس وخطيئة، ورؤوس وفئوس، وعباءة وملاءة، ويؤدّي، وجئنا، ومروءة وغير ذلك في العربية الفصحى.

---

(٢) ينظر: مشكلة الهمزة العربية: ٢٤.
(٣) الكتاب: ١٦٧/٢.
(٤) شرح المفصل: ١٠٧/٩، وينظر: شرح مراح الأرواح: ٩٩.

كما يقع الهمز من أوائل بعض الكلمات العامية في حالات قليلة؛ مثل: سنان، في أسنان، وسبوع، في: أسبوع، وأيه اللّي صابك؟ في أصابك وبراهيم،وسماعين، في: إبراهيم وإسماعيل، ويوم الحدّ، في: يوم الأحد، وغير ذلك))[1].

لغة أكلوني البراغيث:

تحدّثنا عن هذه اللغة عند تناول لهجة طيئ القديمة، وعلمنا أنّ هذه اللغة حكيت عن قبيلة طيئ القديمة، وقد رويت لنا كذلك عن قبيلة (بلحارث بن كعب)[2]، وقبيلة (أزد شَنُوءة)[3]، وهما من القبائل اليمنية، التي تمُتّ بصلة إلى قبيلة طيئ [4]. وكذلك عرفنا أنّ هذه اللغة هي أصل في اللغات السامية أخوات العربية، وهي: العبرية والآرامية والحبشية والأكدية. ((وقد بقيت هذه الظاهرة شائعة في كثير من اللهجات العربية المعاصرة وهي امتداد للأصل السامي واللهجات العربية القديمة، بلا شك))[5]. ومن الأمثلة ـ التي ساقها الدكتور عبد التواب ـ على ذلك ((ما شاع على ألسنة الناس من قولهم في لهجات الخطاب:(ظلموني الناس) و (لاموني العواذل) و(زارونا الجيران)... أي بإلحاق الفعل علامة جمع، وهو متقدّم على الفاعل المجموع))[6].

(١) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٧٢.
(٢) ينظر: القاموس المحيط: (الواو) ٤/٤١٣.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: (الواو) ٤١٣، وشرح التصريح: ١/ ٢٧٦.
(٤) ينظر: الاشتقاق لابن دريد: ٣٦١.
(٥) بحوث ومقالات في اللغة: ٢٧٢.
(٦) المصدر نفسه: ٢٧٠.

إبدال الجيم ياءً:

روي أنّ بني تميم يقولون في: (الصهريج)، وفي جمعه (الصهاريج)، وهو الذي يجتمع فيه الماء: (الصهريّ و الصهاريّ)[1]. و روى أبو زيد أنّ بعض تميم قال: (شيرة) للشجرة. وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم:

إذا لَـمْ يَكُـنْ فِـيكُنَّ ظِـلٌّ ولاجَنْـي فَأَبْعَـدَكُنَّ اللهُ مِـنْ شَـيَرَاتِ[2]

تريد: شجيرات.

ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب: أنّ هذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر، وامتدادها في بعض قرى جنوبي العراق وبعض بلدان الخليج العربي؛ إذ يقولون في: مسجد مثلا: مَسْيِد، وفي: دجاج: دياي، ورِيّال في رِجّال، وغير ذلك[3].

* * *

خامسًا: تفسير ألقاب اللهجات العربية القديمة في ضوء علم اللغة الحديث:

درج اللغويون العرب، على تلقيب كثير من اللهجات العربية القديمة، بلقب يدور في مؤلفاتهم. واختلفت رواياتهم، في عدد القبائل والألقاب، ونسبة هذه الألقاب إلى القبائل. وهذا الاختلاف بين الروايات لايعني بالضرورة أنّ هناك تعارضًا بينها ((إذ تنتشر الظاهرة اللغوية أحيانًا، بين مجموعة من القبائل، فيروي كلّ لغوي ما بلغه منها))[4].

(١) القلب والإبدال لابن السكّيت: ٢٩، والإبدال لأبي الطيّب اللغوي: ٢٦١/١.
(٢) الإبدال لأبي الطيّب اللغوي: ١ / ٢٦١، وكان القياس أنّ تقول: (ولا ينيًا) بدلا من: ولا جنيّ.
(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٣٣، وبحوث ومقالات في اللغة: ٢٧٥.
(٤) فصول في فقه العربية: ١٢٠.

((وأغلب الظنّ أنّ العرب لم تكن تعرف هذه الألقاب للهجاتها في الجاهلية وأنّ المسؤول عن تلقيب كلّ لهجة بلقب معين، هو رجل من (جرْم) لم تذكر المصادر اسمه، وكان ذلك في مجلس من مجالس معاوية بن أبي سفيان))[1].

وقد جمع الدكتور (رمضان عبد التواب) ما عثر عليه من هذه الظواهر في بطون الكتب اللغوية والأدبية، ونسّقه وعرضه على ما توصّل إليه علم اللغة الحديث من نتائج مفسّرًا لنا تلك اللهجات. و سأعرض جهده في تفسير بعض هذه الألقاب فيما يأتي، مرتبًا إيّاها ترتيبًا هجائيًا:-

١. الاستنطاء:

رويت هذه اللهجة عن ((سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس والأنصار))[2]، كما روي أنّه ((لغة أهل اليمن))[3]، و هي عبارة عن جعل العين الساكنة نونًا في (أعطى)، فيقولون (أنطىٰ)، ومن شواهده:

القراءة القرآنية (أنطيناك) في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[4]، و هي قراءة الحسن و طلحة بن مصرف وابن مسعود وروته أم سلمة عن النبي ﷺ [5]، وفي الحديث: [اليد المنطية خير من اليد السفلى][6]. ومنه قول الأعشى:

جيادُكَ في القَيْظِ في نِعْمَةٍ تُصَانُ الجِلالَ وتُنْطى الشَّعيرا[7].

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أنَّ التفسيرَ القائل بأنّ العين قلبت نونًا ((تفسير لا تؤيّده الدراسات الصوتية الحديثة؛ لأنّ العين تختلف اختلافًا كبيرًا، من الناحية الصوتية، عن النون. ومن المعروف أنّ الصوت لايقلب إلى صوت آخر، إلاّ

---

(١) فصول في فقه العربية: ١١٧، وينظر: البيان والتبيين: ٢١٢/٣، والكامل في اللغة والأدب: ٢ / ٢٢٣، ومجالس ثعلب: ٨٠/١ ، والعقد الفريد ٤٧٥/٢، والخصائص: ١١/٢، وسر صناعة الإعراب: ٢٣٤/١، وألف باء البلوي: ٤٣٢/٢، وخزانة الأدب: ٩٦/٤.

(٢) الاقتراح:٨٣، والمزهر: ١/ ٢٢٢، وينظر: مميزات لغات العرب: ١٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٧٦/٥، والفائق للزمخشري: ٨/١، وعون المعبود: ١٨٤/٢.

(٤) الكوثر / ١.

(٥) ينظر: مختصر في شواذ القراءات: ١٨١، و الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢١٦، و المعجم الأوسط: ٨/ ٢٢١، والمعجم الكبير: ٢٣/ ٣٦٥، وعون المعبود: ١٨٤/٢.

(٦) المستدرك على الصحيحين: ٣٦٣/٤، ومجمع الزوائد: ٩٨/٣، وسنن البيهقي الكبرى: ٤٣٠/٧، والإصابة: ٣٣١/٦.

(٧) الإبدال لأبي الطيب اللغوي: ٣١٨/٢، وفي ديوانه: ق٤٩/١٢ ص ٩٩ (وتعطى).

إذا كان بين الصوتين نوع من القرابة الصوتية في المخرج والصفة ... ولولا هذا البعد الصوتي، لحدث الإبدال عند القبائل، التي روي عنها الاستنطاء، في كلمات كثيرة، وقعت فيها العين ساكنة قبل الطاء؛ مثل: (يعْطب) و(مِعْطِير) و (يَعْطس) و(يعطش)... وغير ذلك من الأمثلة، ولكنّ المصادر العربية لم ترو لنا إلا (أنطى) في: (أعطى)...))[1].

إذن السر الحقيقي في ورود هذه الكلمة عن بعض القبائل العربية يفسّره لنا الدكتور رمضان عبد التواب من خلال بحثه عن مقابلة كلمة (أعطى) في اللغات السامية، فوجد أنّ الكلمة المقابلة لها في العبرية متكوّنة من: نون وتاء ونون.

وهي نفسها في السريانية في المضارع مع إدغام النون الأولى بالتاء والنون الثانية في لام الجر.

وهو يرى أنّ ما حدث في لغة هذه القبائل التي روي عنها الاستنطاء، هو عملية نحت بين هاتين اللغتين واللغة العربية، فأُخِذَ فاء الفعل من العبرية والسريانية، وبقيت عينه ولامه كما هما في العربية[2].

ويفسّر الدكتور إبراهيم السامرائي هذه الظاهرة تفسيرًا عربيًا خالصًا؛ فيقول: ((وملاك الأمر في هذه النون، أنها لم تكن مقابلة للعين في: أعطى؛ وإنّما جاءت من أنّ الفعل كان: (آتى)، بمعنى: (أعطى)، ثم ضعّف الفعل فصار: (أتّى) بتشديد التاء. ومعلوم أنّ فك الإدغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية، يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين، كما نقول في العربية: (جَنْدَلَ)، وهي من (جَدَّل)، بتشديد الدال. وهذا كثيرٌ معروف))[3].

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب: أنّ ((هذا التفسير جيّد، لولا أنّ الفعل (أتّى) بمعنى (أعطى) لم يرد له ذكر في المعاجم العربية))[1].

---

(١) فصول في فقه العربية: ١٢١ ـ ١٢٢.
(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٢.
(٣) دراسات في اللغة: ٢١٧.
(١) دراسات وتعليقات في اللغة: ١٢٧.

٢. الطمطمانيـــّة:

وهي عبارة عن إبدال لام التعريف (ميمًا)، وينسب هذا اللّقب إلى طيّئ والأزد وإلى قبائل حِمْيَر في جنوبي الجزيرة العربية. وقد فصّلنا القول في هذا اللقب سابقًا عند تناولنا لهجة طيئ القديمة.

ويفسّر الدكتور رمضان عبد التواب هذه الظاهرة تفسيرًا صوتيًا، فيقول: ((إنّ اللام والميم من فصيلة واحدة، وهي فصيلة الأصوات المتوسّطة أو المائعة Liquida وهي مجموعة (اللام، والميم، والنون، والراء). وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيرًا في اللغات الساميّة))[٢].

٣. العجعجـــة:

وهي عبارة عن إبدال الياء المشدّدة، جيمًا وتنسب إلى (قضاعة)، يقولون في تميمي: تميمجّ[٣].

يقول الدكتور رمضان عبد التواب في تفسير هذه الظاهرة: ((والذي يسهّل إبدال الياء جيمًا، هو اتحادهما في المخرج، وهو الغار أو سقف الحنك الصلب، وكونهما مجهورين، أي تهتزّ معهما الأوتار الصوتية، والفارق الوحيد بينهما، هو أنّ الجيم من الأصوات التي تجمع في نطقها بين الشدّة والرخاوة، أو بعبارة أخرى بين الانفجار والاحتكاك، أمّا الياء فهي من الأصوات المتوسّطة، التي فيها بعض الرخاوة، أو بمعنى آخر تنطق بشئ من الاحتكاك))[٤].

ولهذا السبب نجد الصوتين، يتبادلان في اللهجات العربية القديمة والحديثة، فالعجعجة عند قضاعة وعكسها إبدال الجيم ياءً عند بني تميم كما ذكرنا سابقًا.

(٢) فصول في فقه العربية: ١٢٩ ـ ١٣٠.
(٣) ينظر: المزهر: ١/ ٢٢٢، والاقتراح: ٨٣.
(٤) فصول في فقه العربية: ١٣٢.

ويقيّد (حفني ناصف) الياء التي تبدل جيمًا، بوقوعها بعد العين، يقول: ((تبدل الياء الواقعة بعد عين جيمًا، في لغة قضاعة؛ فيقولون: الراعج خرج مَعِجْ،أي: الراعي خرج معي))[1].

ويعقّب الدكتور رمضان عبد التواب على هذا التقييد، قائلاً: ((ولستُ أدري من أين نقله؟ على أنّ هذا القيد، ليس له ما يبرّره[♠] من الناحية الصوتية، اللهم إلا تبرير اللّقب الذي وصفت به تلك الظاهرة: (العجعجة) !))[2].

٤. العنعنـــة:

اشتهر هذا اللقب بعزوه إلى (تميم)، بَيْدَ أنّه يُعزى في كثير من المصادر إلى تميم وأسد ومن جاورهم.

أما المراد بهذا اللقب فقد اختلف فيه اللغويون العرب، فمنهم من يجعله خاصًّا بإبدال الهمزة عينًا في (أنَّ) أو (أنْ) المفتوح الهمزة، كالفرّاء وثعلب، في حين نجد السيوطي لا يخصّصها (بأن) وحدها، وإنّما يشترط أن تكون الهمزة مبدوءًا بها فحسب؛ يقول: ((ومن ذلك العنعنة، وهي في كثير من العرب، في لغة قيس وتميم، تجعل الهمزة المبدوء بها عينًا، فيقولون في إنّك: عِنّك، وفي اَسْلَمَ: عَسْلَمَ ، وفي أُذُن: عُذُن))[3].

ويعزو الدكتور إبراهيم أنيس مثل هذا الاضطراب في الرواية، إلى ((أنَّ استقراء الرواة لأمثلة الظاهرة الصوتية كان ناقصًا، وأنَّ الأمر في كلّ رواية لا يعدو أنْ يكون حكمًا خاصًّا، مبنيًا على مثال خاص، سمعه الراوي دون[♠] استقراء

(١) مميّزات لغات العرب: ١٠.
(♠) الصواب: ما يسوّغه.
(٢) فصول في فقه العربية: ١٣٥.
(٣) الاقتراح: ٨٣، والمزهر: ١/ ٢٢١.
(♠) الصواب: من دون.

لباقي(♥) الحالات، فاشتراط البدء بالهمزة، أو أن تكون في (أن) مفتوحة، ليس له ما يبرّره من الناحية الصوتية))[1].

ويرى الدكتور (رمضان عبد التواب) أنّ هذا الإبدال عام في كلّ همزة، وأنّ تخصيصه بأنّ المفتوحة، تسويغ لهذا اللقب الذي وصفت به الظاهرة (العنعنة)، مستدلا بقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((والخَبْغُ: الخبءُ، في لغة تميم، يجعلون بدل الهمزة عينًا))[2].

وأنّ تفسير إبدال الهمزة عينًا هنا عند عبد التواب، هو نوع من المبالغة في تحقيق الهمز؛ وذلك على طريقة نطق بعض أهالي صعيد مصر: (لَعْ) في (لأ) مثلا[3].

٥. الفحفحـــة:

وهي عبارة عن قلب الحاء عينًا، وينسب هذا اللقب إلى قبيلة هذيل باتفاق جميع اللغويين. وقد قرأ به ابن مسعود في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[4]: (عتّى حينٍ)؛ يقول ابن جني: ((... روي عن عمر أنّه سمع رجلاً يقرأ: (عتّى حين)، فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إنّ الله ﷻ أنزلَ هذا القرآن، فجعله عربيًا، وأنزله بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام))[5].

وأنّ الإبدال في هذه الظاهرة خاص بكلمة (حتى) عند قبيلة هذيل بدليل أنّ (الحاء) في كلمة (حين) في الآية القرآنية لم تقلب عينًا. وقد نقل حفني ناصف عن هذيل أنّها كانت تقول: ((اللّعم الأعمر أعمن من اللّعم الأبيض))[6]، وقد تفرّد بهذه الرواية فلم نجد أحدًا نقلها غيره فيما تيسّر لنا من المصادر.

(♥) الصواب: استقراء سائر.
(١) في اللهجات العربية: ١١٠.
(٢) العين: ١/ ١٤٠.
(٣) ينظر فصول في فقه العربية: ١٣٧.
(٤) يوسف / ٣٥.
(٥) المحتسب: ٣٤٣/١، وينظر: شواذ القراءات: ٢٤٧.
(٦) مميزات لغات العرب: ١١.

ويعقب الدكتور رمضان عبد التواب على رواية ناصف هذه، قائلا: لستُ أدري من أين نقلها[1]. ثم يفسّر هذه الظاهرة، فيقول: ((و هذا يذكّر بما يقابل كلمة: (حتّى) في العبرية والآرامية؛ فهي... العين والدال، أي أنّه كما جُهِرَت الحاء في لغة هذيل، فأصبحت عينًا، فإنّ هذا هو ما حدث في هاتين اللغتين،وزاد الأمر فيهما أن تماثلت التاء مع العين، فجهرت هي الأخرى،فصارت دالاً))[2].

٦. الكسكسة والكشكشة والشنشنة:

نتناول هذه الظواهر تناولاً واحدًا؛ لارتباط لقب الكسكسة بلقب الكشكشة ولخلط اللغويين أحدهما بالآخر، وأمّا الشنشنة، فلأنّ الإبدال فيها هو نفسه في الظاهرتين.

ويبدو من مجموع الروايات الخاصّة بالكسكسة والكشكشة، في بطون كتب اللغة والأدب في العربية[3]، أنها تنحصر في أمرين:

الأول: إلحاق الكاف المكسورة سينًا في الكسكسة وشينًا في الكشكشة.

والآخر: إبدالها سينًا أو شينًا كذلك. وتعزى إلى ربيعة ومضر، فيقولون: رأيتِكْسْ، وبِكِسْ، وعَلَيْكِسْ، في: رأيتكِ، وبكِ، وعليكِ. وقولهم كذلك (جعل الله البركة في دارش) أي في دارك، وقول الشاعر:

---

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٣٩ الحاشية.

(٢) فصول في فقه العربية: ١٣٩.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٩٥، والكامل في اللغة والأدب: ٢٢٣/٢، ومجالس ثعلب: ١/ ١١٦، والعقد الفريد:٤٧٧/٢، والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي: ١٠٥، والخصائص: ١٢/٢، وسر صناعة الإعراب: ٢٣٥/١، والصاحبي: ٥٣، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي: ١٧٣، والمفصل في صنعة الإعراب: ١/ ٤٦٣، ومحاضرات الأدباء: ٢٣٥/١، والأفعال لابن القطاع: ١٠٩/٣،والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٤،١٧٦/٤، والمزهر: ٢٢١/١، ومميزات لغات العرب: ٢٨

فَعَيْناشِ عَيْناها وَجيدُشِ جيدُها وَلَوْنُشِ إلاّ أنّها غَيْرُ عاطِلِ [1].

أمّا الشنشنة: فرَوَت المصادر هذا اللقب منسوبًا إلى لغة اليمن[2]. وهو عبارة عن جعل الكاف شينًا مطلقًا، فقد سُمِعَ بعض أهل اليمن في عرفة يقول: ((لَبَّيْشْ اللّهمَّ لَبَّيْشْ))[3] أي: (لبيك).

ويفسّر الدكتور رمضان عبد التواب ظاهرتي الكسكسة والكشكشة في الأمر الأول آنفًا، بأنّه تفسير من اللغويين لما سمعوه، ولم يستطيعوا كتابته؛ ((إذ إنّ هذه الكاف لم تلحق بسين أو شين، كما ظنّوا، وإنّما تحوّلت إلى صوت من الأصوات المزدوجة، المسمّاة باللاتينية: Affricata؛ فقد وصل العلماء في مقارنتهم اللغة السنسكريتية، باللغتين اليونانية واللاتينية، إلى قانون سمّوه: (قانون الأصوات الحنكية)، في أواخر القرن التاسع عشر، ولاحظوا أنّ أصوات أقصى الحنك، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية، يليها صوتُ لين أمامي كالكسرة؛ لأنّ صوت اللين في مثل هذه الحالة، يجتذب إلى الأمام قليلاً، أصوات أقصى الحنك، فتقلب إلى نظائرها، من أصوات وسط الحنك. وهذا معناه أنّ الكاف المكسورة، تتحوّل في هذه اللهجات إلى صوت مزدوج، هو: (تْسْ) وهذه هي الكسكسة، أو (تْشْ) وهذه هي الكشكشة))[4].

أمّا تفسير القسم الثاني من هذين الظاهرتين بأنّها إبدال الكاف سينًا في الكسكسة وشينًا في الشنشنة، فيقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((إنّ اللغويين القدماء، سمعوا الازدواجية في الكاف، ولم يستطيعوا كتابتها بالضبط، فدلّوا عليها مرّةً بالكاف والشين، ومرّةً أخرى بالشين وحدها))[5].

(١) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٥٤.
(٢) ينظر: الاقتراح: ٨٤، والمزهر: ٢٢٢/١.
(٣) مميزات لغات العرب: ١٣.
(٤) فصول في فقه العربية: ١٤٥ ـ ١٤٦.
(٥) المصدر نفسه: ١٤٨.

وأمّا ظاهرة الشنشنة، فيقول عنها: ((ما هي إلا شيءٌ من هذا ... وتفسير ذلك سهل؛ فإنّ الملاحظ في التطوّر اللغوي، أنّ الأصوات المزدوجة، تميل في تطوّرها إلى أن تنحل إلى أحد الصوتين المكوّنين لها))[1].

٧. اللخلخانية:

وهو لقب لم يعرف القدماء معناه على وجه التحديد، وقالوا: هو اللّكنة في الكلام والعجمة[2].

وأوّل من وضع لها تفسيرًا محدّدًا، هو أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، فقال: ((اللخلخانية تعرض في لغات أعراب الشّحْر وعُمان، كقولهم: مَشا اللهُ كان، يريدون: ما شاء اللهُ كان))[3].

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: ((ولا شكّ أنّ السبب في تقصير الحركة هنا، هو انتقال النبر إلى المقطع الثاني في هذه الجملة، والحركات الطويلة تعاني التقصير؛ بسبب تحوّل النبر عنها، كما هو مشاهد في تطوّر اللغات))[4]. ويبدو لي أنّه يمكن تفسير هذه الظاهرة بالنحت.

٨. الوتـــم:

يعزى هذا اللقب إلى اليمن، وهو عبارة عن قلب السين تاءًا، فيقولون: النّاتِ في: النّاسِ، وأكياتِ في: أكياس[5].

ويفسّر الدكتور (رمضان عبد التواب) ظاهرة قلب السين تاءًا، بقوله: ((... لأنّهما من الناحيّة الصوتية، متناظران في الرخاوة والشدّة، أي أنهما يتّفقانِ في المخرج، وهو الأسنان واللّثة، كما يتّفقان بالهمس، وهو عدم اهتزاز الأوتار الصوتيّة، ويتّفقان أخيرًا في الترقيق، والفرق الوحيد بينهما، هو أنّ السين رخوة

(١) فصول في فقه العربية : ١٤٨.
(٢) ينظر: غريب الحديث،لأبي عبيد: ٤٨٨/٤، والمخصص في اللغة: ١٢٣/٢، ولسان العرب: (لخخ) ٢٠/٤.
(٣) فقه اللغة:١٧٣.
(٤) فصول في فقه العربية: ١٥١.
(٥) ينظر: القلب والإبدال، لابن السكّيت: ٤٢.

احتكاكيـة، والتـاء شـديدة انفجاريّـة. والملاحـظ أنّ الصـوتين إذا تنـاظرا، أمكـن قلـب أحدهما إلى الآخر بسهولة))[1].

٩. الوكـــم:

وهو عبارة عن كسر الكاف، من ضمير المخاطبين المتّصل: (كُم)، إذا سُبِقَ بكسرة، أو ياء؛ فيقولون: (بِكِمْ) في: بِكُمْ، و (عَلَيْكِمْ) في: عَلَيْكُمْ.

وهو يُعزى إلى ربيعة وقوم من كلب[2].

وتعليل هذه الظاهرة عند الدكتور عبد التواب ((يخضع لقانون المماثلة بين الأصوات المتجاورة؛ إذ تأثّرت ضمة الكاف بما قبلها من كسرة أو ياء، فقلبت كسرة، لتنسجم مع ما قبلها))[3].

* * *

(١) فصول في فقه العربية: ١٥١ ـ ١٥٢.
(٢) ينظر: الاقتراح: ١٣.
(٣) فصول في فقه العربية: ١٥٢.